حركة العلم في العالم المتمدن

نظر الاب لويس دي فال اليسوعي

توطئة

تشبه السياسة رقعة من الشطرنج اختلطت فيها قطع اللعب واشتدّ حرص كلّ من اللاعبين على فكاية عدوّه فترى اربابها يطلبون الوسائل هذا للخروج من مأزق حرج وذاك لاقتناص خصمه بحبائل الخداع والمكر وآخر للتقدّم الى الامام وضرب المعادين بضربة لازب والله اعلم ما سيكون دور الختام

على انّ بازاء هذا العالم السياسيّ المتلاطم بالامواج عالماً آخر ارقى مقاماً واجدى نفعاً نريد به عالم العلوم الذي اتّسع مجالهُ في عصرنا اي اتّساع فيتبارى فرسانهُ مباراة محمودة وتزيدهم المنافسة غيرة ونشاطاً

في السنين المنقضية قصد الانسان ان يدّ سيطرتهُ على اعماق البحر فنفذ في بواطنه برضع الغوّاصات وتجهيزها بالادوات الضامنة لحياة راكبيها في وسط المياه

وبينما كنت ترى الانسان سابحاً كالاسماك في لجج البحر اذ رأيتهُ يطمح بابصاره الى اعالي الجوّ حيث كنّف نفسهُ بَسْط سلطانه على مملكة الهواء ومجاراة الطيور التي تحلّق في ارجائه فلم يخب املهُ وها هوذا يطير في الخاء السماء مزدرياً بالنسور وجوارح الطيور بركوبه الطيّارات التي هي اثقل من الهواء كما ركب سابقاً المناطيد الاخفّ منهُ

والحقّ يقال انّ فنّ الطيران بلغ اليوم مبلغاً لم يكن في الحسبان. وقد حظيت

سواحل الشام حتى يافا والقدس بمشهد بعض الطيّارين الذين قدموا علينا في ختام السنة المنصرمة واوائل عامنا الجديد فرأينا بالعيان قدرتهم وبونيه يحومان فوق بيروت ويرفرفان باجنحتها الآليّة على رؤوسنا فكان منظرهما يهيج فينا شواعر الانذهال ويثير عواطف الجزع والبهجة معاً لمعاينتنا بعض ابناء جلدتنا تارةً يعلون فوق مشارف لبنان ويناطحون السحاب وتارةً يدخلون في اواسط الغيوم المتكاثفة فينفذون فيها ويحيّون وجه الشمس المحجوبة عنّا . فكنا نطريّ بأسهم ونشيد بذكر شهامتهم . الّا انّنا كنّا فوق ذلك نعظّم المعارف البشريّة التي افادتنا علماً جديداً لم يخطُ به اجدادنا . فانّ ارباب العلم بدرسهم المدقّق لخواصّ الموانع والاجسام وبثباتهم المتواصل في الامتحانات ومراقبتهم لاصناف الطيور وتوازن حركاتها في الطيران امكنهم ان يدوّنوا نواميس هذا الفنّ العجيب الذي كان القدماء ينسوا من ادراكه

ذلك وانّ على مقربةٍ من عالمنا هذا المنظور عالماً آخر لا ندركه لدقّة كوائنه اعني به عالم الدقائق والجراثيم التي نعيش في وسطها لنفوذها في كل اجهزة جسمنا وقد دعوها بالميكروب اي الحيوانات الدقيقة التي لا تشعر بها حواسّ الانسان لحجمها المتناهي في الصغر والنعومة . وهنا ايضاً الفضل للعلم الذي اخترع الآلات العجيبة كالنظّارات والمسبّات والمجاهر وبها تمكّن من معاينة تلك الدقائق فلا يكاد يمرّ علينا اسبوع الّا وتنبئنا المجلّات العلميّة باكتشاف العلماء لبعض تلك الجراثيم المجهولة وخواصّها النافعة او الضارّة . كما انّ العلم ادرك ما وراء هذه الاجسام من عالم الاثير والكائنات غير الملموسة وغير الموزونة كاشعّة رونتجن وبقيّة الاجرام المشعّة التي اوقفته على اسرار التلغراف اللاسلكي والتليفون الاثيري وغير ذلك ممّا جعل كرتنا الارضيّة في اعين اهل الزمان ككتاب مفتوح يقرأونهُ بلا عناء بعد اعتياصهِ على اسلافهم او كانز طالما أيسوا من حلّهِ صاروا اليوم يدركون كل معانيهِ

وهذه نبذةٌ يجد فيها قرّاؤنا الكرام جانباً من تلك الحركة العلميّة التي تفرّغ لها العلماء في العام المنصرم فأوقفتهم على بعض مكنونات الطبيعة . وتيسيراً للموضوع ها نحن نقسمهُ قسمين نخصّ الاوّل منهما بالسماء مباشرةً بسماء النجوم ثمّ سماء الجوّ والثاني بالارض وملحقاتها والعلوم المنوطة بها

١ السماء

﴿ العلوم الفلكيَّة ﴾ عاد الفلكيُّون الى قياس حركات النجوم فضبطوها بتدقيق اعظم من قبل. ومن المعلوم انَّ سرعة سير الشمس في الفضاء تبلغ عشرين كيلومترًا في الثانية وانَّ دوران ارضنا حول الشمس يتراوح بين ٢٩و٣٥ كيلومترًا وهي اسرع سرعة مذهلة تفوق ١٨٠٠ مرَّة سرعة قطار الاكسبرس بين الاسكندريَّة ومصر وبكلام آخر تقطع الارض بثانية واحدة ما يقطعهُ ذاك الاكسبرس بنصف ساعة. ولكن اين حركة الشمس وحركة الارض من سرعة انتقال النجوم في الفضاء. مثالها ذلك الكوكب البهيّ المعروف عند الاوربيّين باركتورس (Arcturus) ويدعوهُ العرب بالسماك الرامح وهو اكبر نجوم كوكبة العوَّاء. فانَّهُ يتحرَّك بسرعة ١١٣ كيلومترًا في الثانية اعني انَّ سرعتهُ ١٢٠٠ مرَّة اخفّ من سرعة الصوت التي تبلغ في الثانية ٣٤٠ مترًا ومن ثمَّ لو انتقل من ارضنا الى الشمس لَما احتاج الَّا الى اربعة ايَّام فقط. والفلكيُّون لم يعرفوا نجمًا آخر اسرع منهُ بين النجوم الجارية في دائرة البصر البشري وان كانوا يؤكدون ذلك عن نجوم غير منظورة

وممَّا اجتهد ارباب الفلك في درسهِ آخرًا النفوذ المتبادل بين الشمس وبقيَّة السيَّارات وبين القمر والارض وما ينتج عن ذلك من الظواهر الفلكيَّة. فقد تحقَّقوا مثلًا انهُ يوجد علاقة بين كلَف الشمس وما يحدث في فلكنا من الاضطرابات الجوِّيَّة. وكذلك يمكن الاستدلال بوقع وظواهر الشمس (ومثالها القمر والسيَّارات كالمشتري والمرّيخ وزحل) الى ما سيحدث في ارضنا من الامطار الرعديَّة او اليبوسة او الانواء والاعاصير

وهذه الاعاصير التي كانت سابقًا تُدعى بآفة البحارة صارت اليوم بفضل المراقبات الجوِّيَّة معروفةً حتى انَّ العلماء اخذوا ينبئون بمكان تكوُّنها وزمن هبوبها ووجهة حركتها. وهنا لا بدَّ لنا ان نضيف صوت شكرنا الى اصوات الدول باجمعها كفرنسة وانكلترَّة والمانية والولايات المتَّحدة التي بلَّغت مرارًا عديدة مراسيم شكرها لمرصدَي الآباء اليسوعيين في زيكاواي من اعمال الصين وفي مانيلَّا من جزائر الفيليبين لتدوينهما كل حركات الاعاصير وتبليغ ملحوظاتها الى رؤساء المراكب وبذلك

نجا من السفن الحربية والتجارية ما لا يُحصى عدداً . على خلاف الذين لم يكترثوا لهذه المعلومات فذهبوا ضحايا تهوُّرهم . واليوم لا يجسر غير الحمقى ان يخوضوا بحار الشرق الاقصى دون استشارة اصحاب المرصدين

وكذلك قد أيَّد العلماء بامتحانات جديدة رأيهم السابق عن تأثير انفجار البراكين في الزلازل واختلافات احوال الجوّ . ويؤكدون انَّ الكهرباء في كل هذه الظواهر تلعبُ دوراً مهمًّا لم يقدّروهُ سابقاً حقّ قدره

﴿ الراكب الهوائية وفنّ الطيران ﴾ في ٧ ك ١ سنة ١٩١٢ حلّق في الجوّ في مدينة باڤي من حواضر ايطاليا منطاد سَبْر مُصطنَع من المطّاط (الكاوتشوك) دعوهُ بارا وكان قطرهُ متراً و ٦٠ سنتمتراً ننفخوهُ بالهدروجين فارتفع الى علوّ لم يبلغهُ منطاد قبلهُ اعني ٣٧ كيلومتراً و ٧٠٠ متر وكانوا علّقوا عليهِ مقياسين بارومترًا لتدوين ثقل الهواء وترمومترًا لتعريف درجة الحرارة فكان مقياس البارومتر قد ضعف حتى نزل من ٧٦٠ ملمترًا الى ٣ ملمترات وعندئذٍ زاد انتفاخ البالون حتى انفلقَ لقلّة ضغط الهواء واخذ في الانحدار على هدوء بواسطة مظلّة واقية من الحرير كانت مشدودةً بهِ . اما مقياس الحرارة فكان مختلفاً على حسب اختلاف درجات العلوّ . فكان المقياس على علو ١٢,٣٨٥ متراً مدوّناً ٥٥,٥ — درجة تحت الصفر ثمَّ بلغ على علو ١٩,٧٣٠ متراً الى معظم هبوطهِ اعني ٥٦,٩ — ثمَّ اخذ يتصاعد فكانت درجة حرارتهِ على علو ٣٧,٧٠٠ متر ٥١,٦ —

اما الطيران فاحدى عجائب هذه السنين الاخيرة . وقد امكن الشرقيين بفضل بعض الطيّارين الفرنسويين كدوكور وڤدرين وبونيه وبرب واوليفيه ان يشاهدوا الطير البشري حائماً في اعالي الجوّ . وهذا الفنّ يترقّى يوماً بعد آخر حتى انَّ الحوادث المفجعة السابقة اصبحت نادرةً وادوات الطيران اضحت اثبت تركيباً واسرع حركة والكلُّ جعلوا اليوم يبنون على هذا الفن الآمال الطيبة . ففي ١١ آذار من العام الماضي نال پيريون (Perreyon) احد رفقاء بليريو قصبة السبق في بلوغهِ اعلى طبقة من الجوّ لم يبلغها غيرهُ فوصل الى علو ٥,٨٥٠ متراً وذلك بمدّة نحو ساعة تقريباً وكان اخذ معهُ كمّيّة من الاوكسيجين ليستنشقها ورأى انهُ يمكنهُ ان يصعد الى فوق ذلك لولا انَّ تخلخل الهواء اضرَّ بوقود طيّارته فاضطرَّهُ الى النزول . ويظهر من الانباء

التلغرافيّة انّ لوگانيو سبقهُ في ٢٧ ك ١ فبلغ علوّ ٦,١٥٠ متراً. ودونك جدول اخصّ الطيّارين الذين تباروا في درجات العلو منذ سنة ١٩٠٨ (١

تاريخ الصعود	اسماء الطيّارين	قياس العلو
١٨ ك ١ ١٩٠٨	رَيْت	١١٥ متراً
١ ك ١ ١٩٠٩	لاتام	٤٥٣ »
٩ ك ١ ١٩١٠	لوگانيو	٣,١٠٠ »
٤ ايلول ١٩١١	گاروس	٣,٩٠٠ »
٥ ايلول ١٩١٢	»	٤,٢٥٠ »
١٧ ايلول ١٩١٢	لوگانيو	٥,٨١٠ »
١١ آذار ١٩١٣	پيريون	٥,٨٥٠ »
٢٧ ك ١ ١٩١٣	لوگانيو	٦,١٥٠ »

وفي ١١ نيسان قطع دوكور المسافة بين باريس وبرلين في يوم واحد بعد ان حطّ مرّتين في طريقهِ. وأتمّ ذلك في مدّة ١٣ ساعة وثلث دقائق. وبقي طائراً ٧ ساعات و ٤٠ دقيقة ومن المعلوم انّ قطار الاكسبرس يقطع بنحو ٢٣ ساعة تلك المسافة التي تبلغ ٩٠٠ كيلومتر على الطائر. فيكون دوكور قطع في الساعة ١١٨ كيلومتراً

وفي ١٠ حزيران أتى برنديجون دي مولياي (Brindejonc des Moulinais) بما هو اغرب من ذلك فانّهُ طار من باريس الى قرسوفية في بولونية الروسيّة بيوم واحد قطع في خلالها بسبع ساعات ونصف تلك المسافة البالغة ١٣٧٠ كيلومتراً بمعدّل ١٩٠ كيلومتراً في الساعة ولم يحطّ على الارض الّا مرّة واحدة فاستراح ستّ ساعات ونصف

والنهاية في الغرابة ما عوّل عليهِ گاروس ان يقطع البحر فيطير من فرنسة الى بيزرت في الجزائر دون انقطاع. وقد تجشّم هذا العمل مع ما كان فيهِ من الاخطار لأنّ المحرّك يحتاج الى كميّة وافرة من البنزين فاذا نفدت وقع لا محالة ومن جانب آخر لا يستطيع الطيّار ان يُثقل طيّارتهُ بكميّات زائدة من هذا الغاز الّا انّ الاقدار ساعدتهُ فادرك الغاية ظافراً

---

١) راجع مقالة الاب مجاسون « غاية العناء في فتح مملكة الهواء » في المشرق (١٥ [١٩١٢]: ٤٨٨-٤٨٩)

وآخر ما جرى من مآثر الطيران سباق دوكور وقدرين وبوتيه من باريس الى الاستانة فالقاهرة. وهو السباق الذي شهدنا بعض فصوله . واليوم على ما أُخبرنا قد حلّق الطيّار پودب الى الخرطوم وعاد منها قاطعاً مسافة ٤٢٠٠ كيلومتر

ولفرنسة كما ترى السباق في هذه المآثر المتعدّدة. على انّ مثلها قد حرّك غيرها من الدول كما اقتفت آثارها سابقاً في اصطناع القوّاصات ومما يُروى ان وِلبر رَيت الاميركاني قد اكتشف طريقة بسيطة لضبط حركات الطيّارات وتأمينها من عدم الثبات. فان صحّ ذلك زالت اخطار الطيران . ونحن نتنظر نتائج اختباراته بفروغ الصبر

ومما قُضي به العجب ما اجراهُ الطيّار پيغو (Pégoud) من الحركات البهلوانيّة في باريس فقلب طيّارته وهو في الهواء وعكسها الى الارض بحيث جعل رأسهُ الى اسفل وكان في تلك الحالة غير هيّاب ولا وجل ضابطاً لادوات طيّارته يتصرّف بحركاتها كيفما شاء. وقد اخذ الاجانب لاسيما الانكليز يقتدون بمثاله. وهذا لعمري تقدُّم عظيم في فنّ الطيران وانما يُشترط على الطيّار ان يكون ثابت الجنان رابط الجأش. وقد جعل العلماء يدرسون حركات الطيّارة في انعكاسها وانتصابها ليفيدوا الطيّارين بملحوظاتهم

٢ الكرة الارضية والعلوم الملحقة بها

﴿ الرحل العلميّة ﴾ علمت جمعيّة لندن الملكيّة الجغرافيّة في تاريخ ١١ شباط ١٩١٣ بنبإ بريقيّ أُرسل اليها من زيلندة الجديدة انّ الرحّالة الكبيتان ر. ف. سكوت (R.F.Scott) كان ادرك القطب الجنوبي في ١٨ ك٢ سنة ١٩١٢ لكنهُ عند رجوعه الى مقام مركزه الذي كان اتّخذهُ لتقرير اعماله ذهب ضحيّة مروّته فمات هو ورفقته الاربعة في إعصار من الثلج دفنهم احياء. وكان الكبيتان سكوت عند بلوغه الى القطب وجد الراية التي نصبها قبلهُ بشهر السفار النروجي رصيفهُ أمندسن فسكن هناك من ١٤ ك١ سنة ١٩١١ الى ١٧ منهُ

وهذه تفاصيل وفاة هؤلاء الابطال الخمسة. أما عادوا من القطب الجنوبي: سقط احدهم لفرط ما عاناهُ واحتُقن دماغهُ فمات في ١٧ شباط ١٩١٢ . ثم واصل

الآخرون مسيرهم حتى أجلد الكبيتان اواتس (Oates) وأثلجت يداهُ ورجلاهُ فلم يشأ ان يؤخر رفقتهُ عن مسيرهم ولذلك خرج من خيمتهِ فطمرتهُ الثلوج المتساقطة في ١٦ آذار . امَّا الثلاثة الباقون وهم الكبيتان سكوت واللازم بوَرس (Bowers) والدكتور ولسون فانهم عادوا الى سيرهم نحو المركز حيث كانت مؤونتهم ووقودهم وكادوا يبلغونهُ اذ لم تفصلهم عنهُ الَّا مسافة ١٨ الى ١٩ كيلومترًا غير انَّ نوءًا شديدًا دهمهم هناك في ٢١ آذار عند درجة العرض ٨٠° ودام تسعة أيام متواصلة وكان زادهم ووقودهم لطبخ طعامهم لا يكفيان لاكثر من يوم او يومين فأُصيبوا بفزاع طويل حتى ماتوا

وقد وقف على احوال هؤلاء البائسين الدكتور اتكنسون (Dr Atkinson) الذي أُرسل للتفتيش عنهم فبعد شهرين اكتشف اخيرًا جثثهم في ١٦ تشرين الثاني من السنة ١٩١٢ وبقربهم جريدة سفرهم التي كان يحرّرها يوماً فيوماً رئيس الرحلة .

وقد قُرئت هذه الجريدة في مجلس العلوم في لندن فكان لها اشدّ تأثير على السامعين وكان آخر ما كُتب فيها ما تعريبهُ :

قد خارت قوانا حتى لم نستطع ان نمسك بيدنا القلم لكني انا من جهتي لا اتأسَّف على الرحلة التي باشرتها وهي تبيّن جهارًا ان الانكليز يستطيعون ان يتجشَّموا اخطارًا عظيمة ومشاقّ شديدة وهم متضافرون في العمل ينظرون الى الموت بكل رباط الجأش . نعم لقد لحقت بنا كوارث الدهر وكنَّا نعلم انَّ تلك النكبات تترصدنا لمَّا تحفَّزنا للسفر وعليهِ فلا يحق لنا ان نتذمَّر وما علينا الَّا ان نحني الرؤوس خاضعين لحكم العناية الالهية مع القصد بقيامنا بالواجب الى المنتهى

وقد عيَّنت الدولة الانكليزيَّة معاشًا وفيًّا لارملة الفقيد ولولديهما . امَّا الضابط ايفنس (Evans) احد رفقاء سكوت المتطوعين لهُ في المركز فكان مؤخرًا موضوع كل اكرام وحفاوة في باريس حيث القى محاضرة عالميَّة في تفاصيل هذه البعثة

هذا وقد اشرنا في مقالتنا الافتتاحيَّة عن حوادث العام الى ترعة پاناما ونهاية عملها بامتزاج الاوقيانوسين . وافادتنا الجرائد الاميركيَّة ان رئيس الولايات المتحدة لمَّا ضغط على الزرّ الكهربائي لازالة الحاجز الاخير بين البحرين اجَّر عشرين طنًّا من الديناميت كانت وُضعت في ثقوب مختلفة تبلغ اعماقها عشرة امتار . فانفتحت هذه

بطريق الحديدة التي تغني عن السفر الطويل الى رأس هورن حول اميركة الجنوبية

﴿ استثمار غنى الارض بالصناعة ﴾ الصناعة احدى مصادر الثروة في كل البلاد الّا انّ الصناعة في عهدنا تستلزم قوى الادوات . والادوات لا بُدَّ لها من محرّك وهذا المحرّك هو اما الفحم الابيض اي قوّة المياه المتحدّرة والشلّالات او الفحم الاسود اي الحجري وما يقوم مقامهُ كالبترول والنفط

كان اهل كندا شكّاوا لجنةً تقدّر قوّة المياه المتحدّرة بجنادلها ليستخدموها في تدوير معاصرهم . فكانت نتيجة تقويمهم انّ مجموع قوى تلك المياه الممكن استخدامها تبلغ ٢٧ مليوناً ونصف من الاحصنة البخاريّة حصّة معاملة كيبك منها ١ مليوناً وهي لا تكاد تنتفع منها باكثر من ٥٠,٠٠٠ وحصّة معاملة اونتاريو ثلاثة ملايين وهي لا تنفق غير ٣٣١,٠٠٠ . فاذا استفادت البلاد من تلك القوّة نالت الصناعة بفضلها ترقّياً بالغاً . فما قولك مثلاً بشلّالات نياغارا التي يقوّم العارفون قوّتها بستّة ملايين من الاحصنة البخاريّة . وكذلك جزيرة مدغسكار غنيّة بجنادلها وقد شرعت الحكومة الفرنسويّة تستثمر تلك القوّة لمصانعها المنشأة فيها فيتوفّر عليها القناطير المقنطرة من الفحم الحجري

والحقّ يقال انّ تعدين الفحم الحجري يكلّف الدول مبالغ طائلة ولذلك هي تبحث عن الوسائل لاستبداله من وقود آخر . ولا يخفى ان غاز البترول من هذا القبيل افضل من سواه فانّهُ يسدّ مسدّ الفحم باقتصاد عظيم لانّ تعدينهُ سهل فاذا نبع جمعوهُ في الاحواض فيُغرف منها غرفاً ويوزّع على طالبيهِ بعد تصفيتهِ . ومعادن البترول غزيرة جدًّا والناس يكتشفون منها كل يوم ينابيع جديدة . من ذلك ما روتهُ جريدة زحلة الفتاة في الصيف عن احد ابناء مدينة زحلة من بيت المسلّم المهاجرين الى الولايات المتّحدة انّهُ اشترى بثمن بخس املاكاً واسعة من البور فاكتشف فيها كنيّات وافرة من البترول جعل يستثمرها ويبيع منها كل يوم بالوف من الدولارات حتى اصبح اكبر مثري سوري في اميركة . وكذلك وجدوا بقرب سواحل البحر الاحمر ينابيع غزيرةً من الغاز المذكور فجعلت الحكومة المصريّة تستثمرها . وقد افادتنا الجرائد انّ انكلترة نالت امتيازًا من الدولة العليّة لتعدين البترول الموجود في جهات سوريّة وهي قد عقدت الامل على هذا الغاز لخدمة اسطولها في البحر المتوسّط بدلاً من

الفحم . ومثلها ينابيع النفط والحمر المتبجسة على ضفتي نهر دجلة في بلاد ما بين النهرين والعراق مما سيعوّل عليه لتسيير سكة بغداد الحديدية . ويزعمون انّ شركة لنش (Lynch) باشرت باستثمارها

على انّ الفحم المعدني لا يزال ملكهُ راسخاً وسوقهُ رائجةً . مثالهُ ما استخرجت منهُ المانية مدّة الخمسة الاشهر الاولى من العام الماضي . وهاك تفصيلهُ :

اصناف الفحم	كميّتهُ بالطنّ
من الفحم الحجريّ (houille)	٧٧,٦٤٨,١٢٩
من الفحم المعدني المتحشّب (lignite)	٣٥,٠٤١,٤٥٩
من رواسب الفحم الحجري بالتسخير (coke)	١٣,٣٣٣,٤١٩
من قوالب الفحم الناعم (briquettes)	١٠,٩٦٥,٠٥٥

فيكون محصّل ما يُستخرج لسنة واحدة يبلغ تقريباً ٣٢٤ مليوناً من «الطنّات» وقد افادت الجداول الرسميّة ان اعماق بلاد المانية تحتوي نحو ٧٧ مليارًا من طنّات الفحم في طبقات الارض العليا الى عمق ١٥٠٠ متر . ولها في الطبقات التي دونها ٢٠٦ مليارات منها فيكون مجموعها ٢٨٣ مليارًا من الطنّات وهي تكفي لحاجاتها مدّة ٨٠٠ سنة

وللولايات المتحدة السبق في اصطناع الحديد المذوّب كما للمانية التقدّم في معادن الفحم . ومن المعلوم انّ هذا الحديد المتّى بالتذويب لا تستغني عنهُ في عهدنا ارباب الصنائع . والدليل عليهِ انّ كميّات هذا الحديد في البلاد المختلفة كانت لا تزيد سنة ١٩٠١ على ٤١ مليوناً من الطنّات وقد بلغت في ١٩١١ بعد عشر سنوات ٦٥ مليوناً فكانت الزيادة اكثر من اثلث وهذا جدول لما تستحضره منهُ البلاد المختلفة بالنسبة الى المئة فانّ الولايات المتّحدة تُصدر منهُ ٤٢ في المئة وبلجيكا المانية ٢٤ في المئة ثمّ انكلترة ١٦ في المئة ثمّ فرنسة ٦ في المئة ثمّ روسيّة ٥ في المئة ثمّ النمسة وبلجيكة ٣ في المئة لكلتيهما ثمّ اسوج ١ في المئة . فترى انّ تركيّة لا تدخل في هذا الجدول مع انّ معادن الحديد ليست نادرة في انحائها لكنّها مهملة

﴿ البحريّة الحربيّة ﴾ التي تنفق اكثر من سواها الفحم المعدنيّ والحديد المذوّب تترقّى كلّ يوم ترقّياً عظيماً حتى يكاد القلم يقصر عن وصفها . فيا لله متى

تكف الدول عن هذا التنافس القتّال الذي يستوجب ان تضحية اموال طائلة لاصطناع مراكبها الحربيّة بل تلك الجبابرة الحديديّة التي يساوي ثمن بعضها من ٥٠ مليوناً من الفرنكات الى مئة مليون. ورأى اهل بيروت في الخريف الاخير اسطول الاميرال بوي دي لاپريار الفرنسويّ المؤلف من ستّة مراكب متشابهة من طراز البريدردنوط (prédreadnoughts) فكان الناظرون يأخذهم الانذهال لدى مشاهدتهم هذه السفن المهولة وهي حديثة البناء. لم يكد يمرّ عليها سنتان محمولها ١٨,٤٠٠ طنّ وتسليحها مخيف. على كل منها اربعة مدافع من عيار ٣٠٥ ملمترات و١٢ مدفعاً من عيار ٢٤٥ ملمترًا مع عدد وافر من مدافع سريعة الطلقات عيارها ٧٧ و٤٥ ملمترًا. فكان الزائر اذا رقيها يعدّ نفسهُ في قلعة حربيّة ذات قوّة دفاعيّة وهجوميّة معاً لا تماثل

وبعد سفر هذا الاسطول زارنا طرّاد الماني من الدرجة الاولى يسمّى گوبن (Goeben) فكاد ينسي بكبره المراكب السابقة فانّ طوله يبلغ ١٨٤ مترًا ومحمولهُ ٢٢,٦٠٠ طنّ وقوّة محرّكاته البخاريّة ٥٢,٠٠٠ حصان بخاري أنفقت عليه المانية اكثر من ٥٥,٠٠٠,٠٠٠ فرنك. غير انّ هذا الطرّاد لم يكن مدرّعاً وتسليحهُ ١٠ مدافع من عيار ٢٧٥ ملمترًا مع مدافع أخرى اصغر عيارًا. وقد لحظناهُ لمّا اشتدّ عليه النوء فرأيناهُ يهتزّ كثيرًا مع كونهِ محصوناً بمقدّمة المرفأ

ثمّ بلغنا ان بريطانية العظمى سبقت المانية فابتنت طرّادين من الدرجة الاولى طولها ١٩٨ مترًا ومحمولها ٢٦,٣٥٠ طنًّا وقوتهما ٧٠,٠٠٠ حصان بخاري دعتهما باسم ليون (Lion) اي الاسد والاميرة الملكيّة (Princesse Royale)

وفي آذار من السنة الماضية جهّز اليابانيّون لهم في مصانع انكلترّة طرّادًا يلقي الرُّعب في صدر ناظرهِ دعوهُ كونغو طولهُ ٢١٤ مترًا و٥٢ سنتمترًا في عرض ٢٨م محمولهُ ٢٧,٥٠٠ طنّ وقوّتهُ ٧٠,٠٠٠ حصان بخاري وقد سلّحوه بثمانية مدافع عيارها ٣٥٥ ملمترًا وبستّة عشر مدفعاً عيارها ١٥٢ مم مع ١٦ اخرى اصغر منها. وهذا الطرّاد مدرّع مجهّز باربعة رفّاسات لكل جانب رفّاسان وهو يقطع في الساعة ٢٨ عقدة. وقد ارصت الدولة اليابانيّة بثلاث دوارع مثلهِ

ولم تتأخّر الدولة العليّة في هذا المجال وقد علم القرّاء انّها ابتاعت المدرّعة

البرازيلية ريو دي جانيرو ودعتها بالسلطان عثمان. ولا نكبر بانّ هذا الدريدنوط من اروع السفن الحربيّة يفوق على الدارعتين البرازيليتين شقيقتيه اي « سان باولو » و« ميناس گيرايس » (Minas Geraes) اللتين قد سعت في ابتياعهما الدولة اليونانيّة وهما اللتان القتا الرُّعب في قلوب اهل ريو جانيرو قبل سنتين وطولها ١٦٥ مترًا وحمولها ١٩,٣٠٠ طنّ وقوّتهما ٢٨,٦٥٠ حصانًا بخاريًا يقطعان ٢١ عقدة في الساعة وتسليحهما باثني عشر مدفعاً من عيار ٣٠٥ مم و٢٢ مدفعاً من عيار ١١٨ مم ثمّ ٨ مدافع اصغر. وهما مدرّعتان بدروع متينة يبلغ سمكها في ابراجها ٣٠٥ مم — امّا الدريدنوط ريو دي جانيرو الصادر من مصانع « ارمسترونغ » فان بُناتهُ قد تردّدوا في اصطناعهِ ورسمهِ وقد اتّفقوا اخيرًا على ما ترى: جعلوا طولهُ ٢٢٣ مترًا الّا انّ قسمهُ المشيّد على خطّ عمودي بالغ ١٩٣ م وعرضهُ ٢٧ مترًا و١٢س وحمولهُ ٢٧,٥٠٠ طنّ يقطع في الساعة ٢٢ عقدة بقوّة محرّكة تساوي ٣٢,٠٠٠ حصان بخاري. وتسليحهُ جدير بالاعتبار لأنّ مدافعهُ اربعة واربعون منها ١٤ بعيار ٣٠٥ مم و٢٠ بعيار ١٥٢ مم و١٠ عيارها ٧٦ مم وهو ممنطق بنطاق من الدرع وتؤلّف من ٣٦٥ معهدًا يمكن عزلها عند طغيان المياه. فترى انّ هذه الدارعة من جبابرة البحار. على انّ بعض اصحاب الاصلاحات كانوا يودّون لو انفقت تركيّا ثمن هذه الدرّعة المفردة البالغ من ٦٠ الى ٧٠ مليونًا من الفرنكات في شؤون الزراعة والصناعة لا سيما انّ قسمًا من هذه النفقات قد دُفع من رواتب المتوظّفين او باكتتابات عموميّة

وما لا يُنكر انّ البحارة الحربيّة جارية على قدم وساق لا تريد الدول الكبرى ان تتأخر عن رصيفاتها. وقد بلغنا انّ فرنسة باشرت بتجهيز سفن حربيّة جديدة من طراز سفينتي غسقوني ونورماندي ذات ابراج مسلّحة باربعة مدافع من عيار ٣٤٠ مم

﴿ البحارة التجاريّة ﴾ بعد غرق المركب « تيتانك » (اطلب المشرق ١٥ [١٩١٢]: ١٢٥) انجزت المانية جبّارًا اعظم منهُ انزلتهُ في البحر بحضور الامبراطور غليوم وحمولهُ ٦٥,٠٠٠ طن (١ بزيادة ٥,٠٠٠ على محمول تيتانك امّا طولهُ فيبلغ

---

١) اعني ان حمولهُ ستّة اضعاف محمول مركبي الساجري لوطس وكرنك اللذين

٩٠٠ قدم اعني ٢٧٤ متراً و٥ س في عرض ٢٩ م و٣٠ س وعلو ٣٠ م و٥٠ س من قعر السفينة الى سطحها و٥٥ م من القعر الى علو المداخن التي يبلغ معظم قطرها ثمانية امتار ونصف. والآلة تتحرك بدواليب افقيَّة وقوَّة المحرك ٢٠,٠٠٠ حصان بخاري بسرعة ٢٢ عقدة ونصف في الساعة وقد دُعي هذا المركب باسم " امپراطور " وهو اليوم ملك البحار يخوض تيَّارها ذهاباً وايابا ويمكنهُ ان ينقل ٥٢٣٠ راكباً. لكنَّهُ في سفرتهِ الاولى ارتطم قليلاً في ترعة كيال. غير انَّ هذا الجبَّار التي لا يروق في عيون ناظريهِ لضخامهِ الفرط. وعليهِ قد فضَّل الفرنسويون ما هو الطف صورةً وانسب تركيباً فعمَّروا مركباً تجاريًّا لشركة الترنسلنتيك دعوهُ باسم " فرنسة " ولم يدَّخروا وسعهم في حسن شكلهِ ونظامهِ وتأنيقهِ وترى راكبيهِ لساناً واحدًا في اطرائهِ. ومحمولهُ ٢٨,٠٠٠ طنّ وطولهُ ٢٢٠ متراً اما قوَّتهُ البخاريَّة فتبلغ ٤٧,٠٠٠ حصاناً بخاريًّا. وقد انجز الفرنسويون من عهد قريب مركباً آخر اعظم من السابق اسمهُ "باريس"

﴿ الكيميا ﴾ كان الكيمويُّون يزعمون سابقاً انَّ دقائق الاجساد ثابتة لا تستحيل من عنصر الى آخر. وهو رأي تصدَّى المحدثون لانكارهِ منذ وقفوا على خواصّ الراديوم. فان العلامتين رمساي (W. Ramsay) وكامرون (Cameron) اختبرا ذلك في دقائق النحاس فانهما أعملا فيها احد مركبات الراديوم المدعو بالنيتون (niton) واذا بتلك الدقائق كانت تتحوَّل الى پوتاسيوم وسوديوم وليثيوم (١. وكانا قبل ذلك سنة ١٩٠٩ حوَّلا الى كربون عدَّة معادن كالرصاص والثوريوم والزركونيوم والتيتان والسيليسيوم وذلك بقوَّة النيتون المذكور

ومما توفَّق الى اكتشافهِ في العام المنصرم الكيمويان رمساي وكولّان (N. Collin) ما افادا بهِ الجمعيَّة الكيمويَّة الانكليزيَّة (Chimical Society) وهو انَّ لاشعَّة رنتجن ذات خصائص الراديوم لانَّ الراديوم يبعث اوَّلاً اشعَّة تُعرف باشعَّة α وهي عبارة عن دقائق مكهربة بكهرباء ايجابيَّة ثم اشعة اخرى موسومة

نراها في بيروت ومحمول كل منها عشرة آلاف طنّ بثيف. والمركب « امپراطور » من مصنوعات معمل ڤولكان في همبورج

١) وكان رمساي يستعمل ايضاً لذلك بروميور الراديوم الذي يدخل فيهِ فيمان من عشر غرام الراديوم بثيف قليل

باشعة β وهي دقائق مكهربة بكهرباء سلبيَّة او دقائق كاثوديَّة واخيرًا يبعث اشعة رونتجن التي هي تموُّجات اثيريَّة شبيهة باشعَّة الراديوم المعروفة باشعَّة γ . ومن ثمَّ عمدا الى اسطوانة كانت قد استُعملت لتوليد الاشعَّة المجهولة X زمنًا طويلًا فكسراها واحميا قطعها على النار حتى بلغت حرارتها ٣٠٠ درجة فانبعث منها غازات جمعاها وبعد تحليلها بمِنْشور الطيف الشمسي وجدا فيها آثارًا ظاهرة من عنصري الهليوم والنيون مع انَّ الاسطوانة كانت قبلًا خالية من هذين الغازين فوجودهما دليل على انَّ الراديوم اولدهما بفعل الاشعَّة الكاثوديَّة . وهذا الاكتشاف قد جاء مؤيِّدًا لمذهب ارسطو والمدرسيِّين في تركيب الاجسام من مادَّة وصورة فانَّ صورة الاجسام الجامدة موجودة بالقوَّة في المادَّة الاولى واذا وُجد عاملٌ اخرجها الى الفعل كما يفعل الراديوم بقوَّته العجيبة ومثلهُ اشعة رنتجن السرِّيَّة . ومنهُ يتَّضح ايضًا انَّهُ ليس بمستحيل تحويل الحجر الى ذهب او الحديد الى الماس على ما كان يرتئيهِ اصحاب الاكسير في القرون الوسطى . وممَّا نقلتهُ الجرائد انَّ الكيميوي بولتون (von Bolton) وجد تباورات من الماس بتحليلهِ الهدروكربور الداخل في تركيب غاز التنوير وذلك بفعل الزئبق . على انَّنا ننتظر اثبات هذا الخبر

ومن الواجب هنا على العاقل ان لا يتجاوز حدود اليقين . وعليهِ نأخذ على منشئي مجلَّة المقتطف اللذين في عدد كانون الثاني من السنة الجارية (ص ٢٩) وفي اعداد سابقة (كعدد ت ١ ١٩١٣ ص ٤١) سعيهما في اثبات نشوء الحي من الجماد او المواد الآليَّة من غير الآليَّة . وما ذكراهُ هناك عن بعض ظواهر الحياة في موادَّ غير حيَّة او غير آليَّة لا يقنع بهِ احد من العلماء الاثبات الذين يردُّون على هذه المزاعم الباطلة بقولهم انَّ تلك الموادَّ الجامدة لم تُتمَّم تعقيمًا تامًّا فلا عجب ان تنشأ فيها بفعل النور والحرارة وعوامل اخرى جراثيم حيَّة كانت متزويةً في مطاويها . فمع تشوُّف العلماء نتبع النابغة باستور وتزييف اقاويل غيرهِ من تبعة دروين وهيكل وسواهما الى ان يأتوا لنا ببراهين مقنعة يعدُّها العلماء الموثوق بهم حجَّةً لا سبيل الى انكارها . ومن ثمَّ لا يزال المبدأ القديم راهنًا ثابتًا « انَّ كل حي مولود من حي » والاكتشافات التي اشرنا اليها آنفًا لا تنفي هذا المبدأ بل تبيِّن فقط انَّ عنصرًا جامدًا يمكنهُ ان يتحوَّل الى عنصر آخر جامد مثلهِ . امَّا توليد الحياة فلا بُدَّ لهُ من عامل اسمى واعظم هو

الله سبحانهُ وتعالى كما اثبت ذلك الاديب منصور افندي السوداء في مقالتهِ المعنونة « اصل الحياة » في المشرق (١٦ [١٩١٣] : ٥٢٧)

﴿ الطبّ ﴾ انَّ امتحانات الاطبّاء لبعض الادوية المعروفة قبلهم كثيرًا ما توقفهم على علاجات جديدة. فمن ذلك « صبغة اليود » فان الدكتورين الفرنسويين ارنوزان وكرلس (Arnozan et Carles) من كليَّة بوردو عالجا بها المصابين بالحُمَّى التيفوئديَّة وذلك اما بحقن المصابين تحت جلدهم بقليل من الغليسرين الممزوجة باليود واما بوصف مشروب يذوَّب فيهِ دسغرام من صبغة اليود. فكانت نتيجة علاجهما ان شفيا ٤ محمومًا من ٤٤. على انَّ هذا العلاج لا ينفي بقيَّة العلاجات كالاغتسال بالماء البارد والحقن به. اما تعليل فعل اليود فلانَّهُ ينمي في الدم كُرَيَّاتهِ البيضاء (leucocytes) التي من شأنها التهام المكروبات الضارَّة الداخلة في اجهزة المريض. فاليود يقوّي الكريَّات البيضاء ويوفر عددها توفيرًا بالغًا يدعونهُ (hyperleucocytose) بهِ يُصفَّى الدم من الجراثيم الوبائيَّة

وكذلك داء (الجدريّ) فقد عالجهُ الدكتور نيولّ (Newell) بصبغة اليود فنجح نجاحًا باهرًا ظهر اوَّلًا بتحسين حالة المصابين الصبوغين بها وخفَّ وجومهم وهبطت درجة حرارة الحمَّى ولم يبقَ فيهم بعد شفائهم اثر الجدريّ وكذلك قلَّ انتشار الوباء. ولا عجب لانَّ اليود من المواد المطهِّرة المزيلة للجراثيم الوبائيَّة

ومن الطرائق العلاجيَّة المستجدَّة علاج المصابين بالاختناق بواسطة الاوكسيجين وكانوا قبلًا يُنشقون المنوَّ بهِ قليلًا من هذا الغاز. الَّا انَّ هذه الطريقة عسرة جدًّا في بعض الاحوال بل غير ممكنة عند ضيق الحنجرة مثلًا او ورم قصبة الرئة او تشنُّج الاعضاء. فالدكتور پرافاز (Pravaz) وضع لسدّ هذا الخلل آلةً يُحقن بهِ السحاب تحت الجلد وهي كناية عن انبوبة متَّصلة بقارورة ينبعث منها الغاز تدريجًا الى جسم المصاب فيبلغ بعد قليل الى جهاز التنفُّس ويقوّي حركة القلب فينظّمها ثم تخفّ الحمَّى وتزول زرقة الجلد والاطراف ويدرّ البول فينتعش المريض بعد غيبوبتهِ عن الحواسّ ويعود الى حالهِ

وقد اكتشف الدكتور روجرس (Rogers) من اطبَّاء كلكوتا انَّ الايبكا (ipéka) التي كان يعالج بها داء الزُّحار الاميبيّ (dyssenterie amibienne)

(الدوسنطارية) المنتشر في البلاد الحارة يزيد مفعولها زيادة عجيبة اذا استُخلص منها صفوتها المعروفة بالايميتين (émétine) فزجها الدكتور المذكور بالكلوردرات (chlorhydrate d'émétine) وحقن المزحورين فوجد ان تلك الجراثيم الاميبية تُقتَل قتلاً وحياً ان كان في المزيج من الايميتين جزء من ١٠,٠٠٠ وتُقتل بعد دقائق قليلة ان كان منها جزء من ١٠٠,٠٠٠ ويعود المريض الى صحته بسلامة احشائه وكبده من تقرُّحهما . فبفضل هذا العلاج يمكننا القول ان دواء الدوسنطارية أصبح اليوم معروفاً وان الشفاء اكيد كشفاء الحميات بالكينا

وقد سبق المشرق (١٥ [١٩١٢]: ٢٣١) فعرَّف اللقاح المكتشف لاتقاء حمَّى التيفوس وهذا اللقاح المستنبت بقتل جراثيم ايبرث (bacilles d'Eberth) بالحرارة قد ظهر فضلهُ في العام الماضي في جيش الصرب فجرَّبهُ الاطبَّاء في ٤٦٠ من المصابين بالحمى التيفونيديَّة فلم يمت منهم الَّا عشرة . امَّا الذين عُولجوا بطريقة الماء البارد القديمة فكانوا ٢٢٠ فمات منهم ثلاثون وبهِ ثبت فضل التداوي باللقاح . ويجب القول ان المطعَّمين باللقاح عولجوا ايضاً بالاستحمامات . اما المرضون الذين لُقِّحوا كلهم فلم يمت منهم احد وانما اصيب اثنان فقط بأعراض الداء الخفيفة

وكذلك روى المشرق (١٦ [١٩١٣]: ٨٧١) اكتشاف الدكتور الياباني هيديو نوغوشي لميكروب الكلَب في مكتب روكفلر في نيويورك . وهذا الميكروب يشبه ميكروب الحمَّى الصفراء فهو غاية في الدقَّة نوريُّ الجسم على شكل كروي او بَيْضيّ . والظاهر انهُ ليس بجرثومة نباتيَّة بل هو ذرَّة من الحيَوِيَنات السافلة (protozoaire) . على انَّ معالجة هذا الداء المُحال قد احكمها بستور منذ سنين عديدة وكفى شاهداً على ذلك ما كتبهُ حضرة الاب دي فراجيل في المشرق ١٩١٣ (١٦ : ٩١٣) عن مستشفى الكلَب الذي هو متولٍّ ادارتهُ في مكتبنا الطبيّ مع مساعدة الدكتور حبيب الدروعيّ . فانهُ بيَّن هناك انَّ علاج الداء على طريقة بستور ناجع لا محالة اذا رُوعيت اصولهُ . كما ظهر في معالجة هذا المكتب للمصابين بالكلب فقد شفوا كلهم . وكذلك لم يمت واحد منهم في فرنسة سنة ١٩١٢ مع انَّ عددهم بلغ في مكتب پاستور ٣٤٢ شخصاً . فترى ما حازهُ بستور من الفخر بهذا الاكتشاف وحدهُ فما قولك ببقيَّة اكتشافاتهِ الميكروبيَّة . ومن ثمَّ قد احسن القائل

ان پستور احق من سواه بان يُمدّ فريد عصره لخدمته للانسانيّة . ولما احتفل مكتب پستور في ١٥ ت ٢ من السنة المنتهية بالعرس الفضي للمكتب المذكور تواردت مراسيم التهاني على اصحابه مشيدين بذكر پستور وتلميذه الدكتور رو (Dr Roux) مكتشف ميكروب الدفتريا والمصل الشافي منها . وقد عدّد الدكتور المذكور محامد پستور في بعض تلك الحفلات تصدّرها الرئيس پوانكاره ووصف نتائج اكتشافاته في كل انحاء المعمور . على اننا نحن نضيف الى تعظيم ذاك العالم العلّامة تعظيمنا للمسيحي المحض الذي لم يخجل بان ينتسب صليب المصلوب في مختبره الكيموي وجعل سيرة حياته موافقة لمعتقده بذاك الاله الذي اعلن بنعمه الساطعة على كافّة المعمور المسيو رينه بازن (M' René Bazin) في معهد الاكاديمية الفرنسويّة مقدّماً اهّ تحيّاته الخاصة مقرونة بتحيّات الملايين من الاحياء والمليارات من الموتى لاسمه المجد الى دهر الدهور

رحلة

مُحَمَّد سَعِيد بَاشَا إِلى بَارِيس

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

مواجهة السفير ملك فرنسة

وبعد يومين من دخولنا اتى الى عندي مُدخل القصّاد وقال لي : ان حضرة السلطان يريد ان يراك يوم الجمعة وانهُ عيّنني لكي آخذك الى عنده لكي يراك وانا وانت ومربّي السلطان (١ فمضي ثلاثتنا سواء مثل دخولنا الاوّل في العراضة الاولى

---

١) يريد بمربّي السلطان وليّ امره وكان اذ ذاك ابن اخي لويس الرابع مشر فيليب الثاني دوق دي اورليان الذي اشتهر بحروبه ودبّر الدولة سبع سنوات في مدّة صغر لويس الخامس عشر . كان مولدهُ سنة ١٦٧٥ وتوفي في ٢ ك ١ سنة ١٧٢٣

ان پستور احق من سواه بان يُمدّ فريد عصره لخدمته للانسانيّة . ولما احتفل مكتب پستور في ١٥ ت ٢ من السنة المنتهية بالعرس الفضي للمكتب المذكور تواردت مراسيم التهاني على اصحابه مشيدين بذكر پستور وتلميذه الدكتور رو (Dr Roux) مكتشف ميكروب الدفتريا والمصل الشافي منها . وقد عدّد الدكتور المذكور محامد پستور في بعض تلك الحفلات تصدّرها الرئيس پوانكاره ووصف نتائج اكتشافاته في كل انحاء المعمور . على اننا نحن نضيف الى تعظيم ذاك العالم العلّامة تعظيمنا للمسيحي المحض الذي لم يخجل بان ينتسب صليب المصلوب في مختبره الكيموي وجعل سيرة حياته موافقة لمعتقده بذاك الاله الذي اعلن بنعمه الساطعة على كافّة المعمور المسيو رينه بازن (M' René Bazin) في معهد الاكاديمية الفرنسويّة مقدّماً اهّ تحيّاته الخاصة مقرونة بتحيّات الملايين من الاحياء والمليارات من الموتى لاسمه المجد الى دهر الدهور

رحلة

مُحَمَّد سَعِيد بَاشَا إِلى بَارِيس

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

مواجهة السفير ملك فرنسة

وبعد يومين من دخولنا اتى الى عندي مُدخل القصّاد وقال لي : ان حضرة السلطان يريد ان يراك يوم الجمعة وانهُ عيّنني لكي آخذك الى عنده لكي يراك وانا وانت ومربّي السلطان (١ فمضي ثلاثتنا سواء مثل دخولنا الاوّل في العراضة الاولى

---

١) يريد بمربّي السلطان وليّ امره وكان اذ ذاك ابن اخي لويس الرابع مشر فيليب الثاني دوق دي اورليان الذي اشتهر بحروبه ودبّر الدولة سبع سنوات في مدّة صغر لويس الخامس عشر . كان مولدهُ سنة ١٦٧٥ وتوفي في ٢ ك ١ سنة ١٧٢٣

ثم انهُ حقَّق لي انهُ قبل الآن لم يتعين لاجل القصَّاد قائد عسكر سوى ذاك فقط وان هذه المراضة تكون احسن من الاولى باوفر تمام واكثر عزّ من تلك. ثم قال لي ايضاً: « ان الخط الشريف الذي جئتَ به تقدمهُ ويقرأهُ وهو مزمع ان يردَّ جوابهُ واذا رأيت حضرة السلطان فانك تراهُ واقفاً فلا تتوهَّم ولا يكن عندك خوف لانهُ عتيد ان يظهر انك كل محبة »

وبعد ان اعلمني بهذا الامر رجع الى مكانه فصبرنا الى يوم الجمعة (٢١ آذار سنة ١٧٢١) واذا بالشيخ ديلنبس (١ وهو رأس قائد العسكر مع مدخل القصاد المذكور قدما الى عندي الى السراية واتباعهما وناس كثيرون اصطفُّوا صفوفاً كما يوم دخولنا في البدو الى باريس ما خلا انهم بغير سلاح وكانوا بثلابس فاخرة جدًّا. فكلَّفوني الى المضي فاحضروا لنا خيلًا الى ابني ولي من خيل الملك بعُدَد مجوهرة ذهبيَّة

فركبنا واصطفَّ الآلاي امامنا وحولنا شيء عظيم جدًّا وابني بما انهُ كان عندي ديوان افنديسي (٢ كان حاملًا الخط الشريف على يديهِ كمثل العادة وراكباً فرساً لائقة وكان لجام الفرس مثقَّلًا بالذهب والجواهر الثمينة شيء غير موصوف. وبعدهُ مشيتُ انا بعد ابني وكنتُ لابساً عمامة الديوان اعني قلاوية (٣ الوزارة ومبترشحاً بفرجية بفرو سمور (٤ غالي كثير الثمن وكنت راكباً حصاناً بقاشة (٥ طويلة مثل كسوة خيلنا وكان بجانبي حضرة الشيخ ديلنبس على اليمين ومدخل القصاد عن شمالي

وقد كانوا ارسلوا الى الاماكن التي فيها عساكر مشتَّتة ليأتوا لاجل الآلاي فاتى

---

١) هذا الاسم مصحَّف وهو المعروف بالامير دي لمبسك (prince de Lambesc) كبير قوَّاد الجيوش في ذاك الوقت

٢) ديوان افنديسي اي ناظر الديوان والحاجب

٣) كذا في الاصل وظنَّ انهُ اراد القاووسيَّة اي القلنسوة

٤) الفَرَجيَّة ويقال لها المنفرجة رداء واسع من الجوخ باكمام يُلبس فوق الثياب. والسمُّور حيوان ذو فرو ناعم (martre-zibeline)

٥) القاشة من القاظ العامَّة معناها قَنَّز الدابَّة اي السُّنُب الذي في مؤخَّر السَّرْج

من العسكر شيء كثير زلام مع خيالة أنوف من ثلاثين الفاً لابسين ثياباً جديدة مكلفة ومصطفين من باب السراية المعيَّنة لنا الى باب سراية السلطان ونحن بينهم. واخذونا من طريق مدخل السراية اعني طريق البساتين وهو بستان السلطان فدخلنا من الباب الذي منهُ البستان فعند دخولنا الى باب البستان رأينا فرقتين من الخيالة واقفتين هناك يميناً وشمالاً فرقة تُدعى الخيالة الشهباء وفرقة تدعى الخيالة السوداء لان الفرقة الاولى خيلها شُهب والفرقة الثانية خيلها سود وهاتان الفرقتان معتبرتان غاية الاعتبار في مملكة فرنسة بين العسكر لانهما تتركبان من انفار كثيرين من الشرفاء والاعيان وهم في غاية الزينة الجميلة

فلمَّا عبرنا بينهم سلَّموا علينا سلاماً معتبراً ودخلنا الى ان انتهينا الى سلالم باب السراية وهناك نزلنا عن ظهور الخيل. فاخذونا الى مكان لكي نأخذ راحة وهو المكان المختص بتعليم تربية السلطان. فبعد أن مكثنا قليلاً ذهبوا بنا الى مكان آخر أعلى من ذلك المكان. وفي كل خطوة كنَّا نرى اناساً من رجال الدولة المعتبرين جداً يأتون الى استقبالنا. وبهذه الصفة بلغنا الى باب الديوان وشاهدنا هناك خلقاً كثيراً بهذا المقدار حتى ان الذين كانوا سابقينا والمحيطين بنا كان يعسر عليهم جداً ان يدخلوا ويدخلونا بينهم وبالكاد العظيم وصلتُ الى باب الديوان مع اثني عشر رجلاً من اتباعي فقط

فدخلنا الى مكان شبه ديوانخانة يا لهما من ديوانخانة وكان هناك مصفوف من الكراسي ما اعلم كم مئة مصفوفين بترتيب عجيب متساوٍ الى حدّ عرش السلطان كأنهُ مكان العرش في بلادنا. وكان جالساً على هذه الكراسي جميعها اشرف نساء الدولة الستّات (السيدات) ومن اهالي السلطان نساء ورجال بثياب فاخرة مرصَّعة بالجواهر الثمينة والملك جالس في صدر ذلك المكان في مكان عالٍ وعليهِ من الجواهر شيء لا يوصف ولا يكيَّف بقلم ولا بلسان.

فعند دخولنا نهض جميع من كان على الكراسي قائمين والسلطان ايضاً لمَّا دنونا منهُ نهض قائماً فعملتُ لهُ التعظي اللائق لهُ وتناولتُ الخطَّ الملوكي وبعد ان وضعتُ يدي على صدري مختضعاً لهُ تقدَّمت الى جانب السلطان ورفعت يدي على رأسي بصفة متوسّل ثم كلَّمت السلطان بهذه الالفاظ قائلاً: «هوذا الخط الشريف من

صاحب العز العظيم والقدرة بادشاه (١ الاسلام ولي نعمتي افندم سلطانم صاحب الشوكة احمد خان ابن السلطان محمد خان »

وبما ان السلطان كان صغير السنّ جدًّا (٢ تقدّم الوزير الاول واخذ المكتوب من يدي ووضعهُ على كرسي صغير كان هناك بجانب عرش الملك ملبَّسًا بثوب كسر (اي قصب) قطع جواهر . ثم انني تناولت مكتوب الوزير الاعظم صاحب الدولة وقدَّمتهُ الى السلطان قائلًا : « هوذا مكتوب صاحب الدولة والسعادة الوزير الاعظم ابرهيم صهر السلطان المحترم » . فاخذ الوزير المذكور ايضًا المكتوب ووضعهُ تحت الخط الشريف

وبعد ان قدمت المكتوبين الى السلطان قلت لهُ : « ان استاذي السلطان ارسلني اليك قاصدًا لاجل نموّ المحبة وازديادها ولاجل عقد الصحبة والمودَّة التديمة بين الملكين ولكي يظهر اعتبار الدول بالرضا الخصوصيَّة التي اكنهم نحونا ونا نحوهم وكم من المحبة لحضرة سلطان فرنسا العالي الشان عند حضرة سلطاننا المحفوظ فلاجل ازدياد هذه المحبة ونموها ارسلني الى حضرتك قاصدًا »

وبما ان السلطان صغير السن كما تقدّمنا فقالنا لانهُ كان ذلك الوقت ابن احدى عشر سنة داخلًا في الاثني عشرة سنة . كان جمالهُ وحسنهُ يفوق الوصف وكان ثوبهُ الذي كان لابسهُ من كثرة الالماس والجواهر يمتدّ شعاع نورهِ في كل الديوانخانة اشدَّ ساطعة هل قدر حتى ما كان يقدر احد ان يملك منهُ النظر من جميع جوانبه

فلما اكملت كلامي هذا لم يردّ عليَّ السلطان جوابًا ابدًا بل القائد منسور دي بيدروي (٣ مدير السلطان كلمني عنهُ قائلًا : « ان السلطان قبل ورضي من مكتوب بادشاه الاسلام ومن انتخابك انت الى هذه الرسالة . ولو أتى غيرك في هذه الرسالة ما كان حضرة السلطان ينسرّ هلقدر (بهذا القدر) . وحضرة سلطاننا ايضًا يريد

---

١) كلمة فارسيَّة الاصل معناها سيّد الملوك ورأس السلاطين

٢) كان عمر لويس الخامس عشر اذ ذاك احدى عشرة سنة

٣) هذا الاسم مصحَّف لعلَّهُ يريد رئيس اساقفة كمبراي المسمَّى دوبوا (G. Dubois) وكان احد كبار الوزراء (+ ١٧٢٣) . اما مدبّر الدولة فكان كما قلنا الدوق فيليب دي اورليان .

المحبة تدوم وتكثر بين الملكين دائماً ». حينئذٍ شكرت فخامته واعتنائه على ما قدّموا لي من الواجب والاكرام في الطريق وهُنا

ثم اني رجعت ووضعت يدي على راسي واستأذنت منهُ بالرجوع وبعد كم خطوة ايضاً وضعتُ يدي على صدري وتودّعت منهُ ونزلنا في السلّم وركبنا الخيل ومثل مجيئنا هكذا كان رجوعنا بين الوف الناس والعساكر الى ان انتهينا الى محلّنا (١

استقبال الدوق دي اورليان للسفير العثماني

وكان ذلك اليوم يوم النوروز نهار جمعة فعند دخولنا الى محلّنا ارسل مدير الملك واحداً من اتباع المدخل وعرض عليَّ ان افندّيهُ يكلّفني لكي في الغد اذهب الى عنده حتى يراني واراه وفي الصباح تاتي العربانة لكي نذهب عنده . وبعد هذا مضى

ففي ثاني يوم ركبت حصاناً من خيلي بعدّة مكلّفة واتباعي ركبوا ايضاً خيلاً بعُدَد وثياب جديدة مكلّفة وسرنا ولم ارد اركب العربانة لان اكثر الشعب كان يريد ان يرانا على ظهور الخيل لكي يروا خيلنا ولبسنا وزيّنا فلاجل هذا السبب لم أُرد اركب العربانة . والسبب الثاني لكي نتفرّج على زيّهم وبلادهم . فركبتُ ومشيت صحبة اتباعي الى سراية المدير فنزلنا عن ظهور خيلنا ودخلنا الى السراية فأدخلونا الى جملة اوض لاجل الفرجة فرأينا كل اوضة على شكل من دهونات ونقوشات وفرش مفتخر من فضة وذهب وقطع غاليات الثمن حتى اندهش عقلي من النظر الى هذه الاشياء التي هي نادرة الوجود

اخيراً بلغوا فينا الى ديوانخانة مثل ديوانخانة السلطان والمدبّر جالس على كرسيّ عالٍ والجمع مصفوف حواليه على الكراسي . فعند نظره الينا حالاً نهض على الأقدام ومشى نحونا قدر اربع خمس خطوات لاستقبالنا ووضع من رأسه الشبقة (٢ مسلّماً علينا . وانا ايضاً وضعت يدي على صدري ثم كلّمتهُ هكذا قائلاً : « اسعد الله اوقاتكم » . واخذت مكتوب الوزير الاعظم وقدمتهُ لهُ قائلاً : « هذه رسالة صاحب العناية الصدر المحترم ابرهيم باشا » فبسط يدهُ وتناولها . وبعد خطاب قليل بيننا بالمودّة

---

١) انظر وصف مواجهة السفير للملك لويس في آخر المقالة بقلم احد الكتبة الفرنسويين الذين حضروها ٢) الشبقة من التركيّة شابقه القبعة والعثمانيّة اصلها cappa (chapeau)

والمحبة اللائقة ثمَّ بعد ضيافة من مرتبات وحلويات تودّعت منهُ وركبت ومضيت الى محلنا

وفي اليوم الثاني ركبت ومضيت عند الوزير الكبير وكذلك بعد الضيافة وبعد المفاوضة معهُ ودّعتهُ ومشيت. وبعد كم يوم رحتُ عند البكراده الذي كان تعيَّن لمرافقتي وبعد خطاب مستطيل معهُ قال لي: ان حضرة السلطان مزمع ان يخرج الى الصيد فان كنت تريد تذهب معهُ لاجل الفرجة والسير فهذا امر متعلق بارادتك. فعجبني قولهُ هذا كثيرًا فقلت لهُ: ان كان حضرة الملك لهُ رضى ولا بأس ان امضي مع حضرة السلطان اصير قوي ممنون بهذا

خروج السفير مع ملك فرنسة الى الصيد واستعراض العسكر

فلما كان الغد ركبت في العربانة لأمضي معهم لان كل رجال الدولة كانت خرجت خارج المدينة في انتظار حضرة السلطان والستّات الذين هم (اللواتي هنَّ) من اهل السلطان كانوا (كنَّ) ايضاً خارج المدينة هناك . فلمَّا بانت الى عندهم وقفت بينهم فسألموا عليَّ جميعهم وبعد قليل اذا السلطان واصل في العربانة ولما قرب مني رفع شبّتهُ عن راسهِ لاجل سلامي وعمل لي اعزازًا واكراماً واحتراماً جزيلًا وانا كذلك ردَّيت عليهِ السلام وأديت لهُ الاحترام اللائق من غير ان اخرج من عربانتي

وبعد هذا ركب السلطان على ظهر الحصان وسألني ان كان لي خاطر ان اركب واذهب أشرف على مكان الصيد فحالًا ركبت رفقة المريشال دي ويلارو (١ مديره وسرنا معهُ. امَّا الستّات والاشراف من النساء فركبنَ هنَّ ايضاً خيلًا بعد ان خرجنَ من عرباناتهنَّ وهنَّ لابسات لبس رجال وبدأن يجيلن في الميدان فكان ذلك فرجة واي فرجة

---

١) يريد المريشال فرنسوا دي ڤيلّروا (François de Neufville-duc de Villeroy) احد ابطال فرنسة وعظام رجالها وُلد سنة ١٦٤٦ واكسب فرنسة ببعض انتصاراتهِ فخرًا عظيماً وتقدَّم في كل مناصب الدولة في عهد لويس الرابع عشر وخلفهِ لويس الخامس عشر توفي سنة ١٧٣٠ . كان يوم دخول محمَّد سعيد باشا احد اعضاء شورى الدولة ومدبّر لويس الخامس عشر

ثم اننا اخيراً وصلنا الى مكان الصيد فكان اصحاب الطيور واقفين ومعهم كل انواع الجوارح من الطيور مثل بواشق وشواهين وصقورة ونسورة وبازات فكانوا وقتاً يطلقون الشاهين على الأرانب ووقتاً يطلقون النسر في الجو واحياناً الغرنوق واليابقجيل (١ والباشق. وبعد الفرجة على هذا الصيد الملوكي رجعنا صحبة السلطان الى البلد وذهبنا الى محلنا وكان ذلك النهار نهاراً ملوكياً

وبعد هذا بدأ الاكابر يأتون الى عندي افواجاً افواجاً حتى يشوفونا ومنهم من يأتي ليسلم علينا. وكذلك مدبر السلطان جاء الى عندي وبعد مفاوضة الكلام سألني: « هل لك خاطر تتفرج على عسكر السلطان أأ يترتب للحرب وكيف الجنود تتعلم وتتعود على الحرب والقتال وهذا لاجل ان العساكر الآن موجودة هنا وفي الغد يريد السلطان ان يعرضوا عليه فلاجل هذا ممكن ان يصير مثل هذا المفترج ان كان لك خاطر حتى نفرجك ». فعند ذلك اظهرت السرور والرضى بهذا وقلت له: « حقاً اني بغاية الشوق الى النظر الى هذا المفترج » وهكذا تمّ في اليوم الثاني

ففي الصبح ارسل المدبر ثلاثة انفار من اتباعه فمضينا معهم الى ان جزنا بين اشجار وبساتين حتى بلغنا الى موضع مظلّل بخضرة تشبه شكل ولون الزمرّد وهناك كانت موجودة البيارق مفتوحة والزلام مصفوفة على خمسة صفوف وستّة صفوف كل صف شكل وطول الصفوف بهذا المقدار حتى ان النظر بالكاد يقدر ان يمتدّ الى آخرهم وجميع اكابر الدولة مع الستّات الذين هم (الواتي هنّ) من اهل الملك جميعهم حاضرون هناك في العربانات مع كثير من نساء الامراء والشرفاء.

فلمّا انتهينا الى هناك اوقفونا في مكان مناسب للفرجة فبعد هنيهة حضر مدبر المملكة برفقة غلمانه ومعهُ بعض رؤساء العساكر الفرنسويّة وبعض اكابر الدولة. فحالاً ركبت انا على الحصان واستقبلتهُ. واذ كنت اسلّم عليه في تلك الساعة وصل السلطان مع مدبّره فحالاً تقدّمت الى استقباله والستّات ايضاً استقبلوهُ (استقبلنهُ) فبعدها ركبت النساء حالاً ظهور الخيل وهم (وهنّ) بزي الرجال وشعورهم (وشعورهنّ) مرخاة على الاكتاف يحرّكها الهواء وينسفها من هنا الى

---

١) لفظة مصحّفة

هناك. فعندها عزمني مدبّر السلطان الى جانبه وكنا نسير سواء والسلطان قدامنا ونحن خلف وذهبنا هكذا ونحن ننظر الى العسكر حتى بلغنا الى اخر الصفوف

ومن ثمّ رجعنا على اثرنا وحين كنّا في نصف الصفوف رأينا ان حضرة الملك ارتفع فوق تلّة هناك قريبة ودعاني الى عنده فصعدت وجلسنا بجانب بعضنا الواحد مقابل الآخر تجاه العسكر. وفي ذلك الوقت كان الاردي (١ جميعهُ فاضياً والسر عسكر واقفاً قدر ربع ساعة. فعند ذلك لطم السر عسكر حصانهُ الى الوسط وجاء فوقف ما بيننا وبين العسكر. وكان على يمينه في المكان الذي وقف فيه اربعة طبول قريبة اليه وعن يساره ايضاً اربعة طبول فعند ذلك اخرج من جيبه منديلاً وحركه نحو الجوّ خالاً دقّت الطبول شكل دقّة غريبة فتغيّر وقوف العسكر جميعهُ. ومثل ذلك كل مرّة يحرّك منديلهُ شكلاً تدق الطبول غير شكل ويحدث في سائر العسكر تغيّر شكل واحد. ومثل ذلك لما تدق الطبول كان العسكر يتحرّك حركة خفيفة سريعة بالغاية حتى كنت انظر اليهم متعجباً لان حركتهم مع كثرتهم كانها حركة شخص واحد. وعلى كل اشارة كانوا يشوفونها من قائدهم كانوا يفعلون فعلاً فوقتاً يرفعون كلّهم تفنكهم (٢ ووقتاً طبنجاتهم ووقتاً سيوفهم ووقتاً يركعون للارض ووقتاً يلتفتون على يمينهم كأنهم رجل واحد ووقتاً على شمالهم ووقتاً يُعبّون تفنكهم ووقتاً يضربونهُ وانا رأيت منهم ما يعجبني. وقد مكثنا هناك قدر ثلاث ساعات ننظر كل هذه الحركات المختلفة. وبعده ذهبنا الى موضع آخر من حيث رأينا العسكر جميعهُ يدخل مع بيارقهِ وارفاقهِ وعسكره ولم يصدم في مكان من وسع الطريق وسهولته. ثم انني ودعت السلطان ورجعت الى محلي

زيارة السفير للمستشار الملكي

وبعد كم يوم اتى الى عندي الوزير المتوكل على الحرب لكي يزورني فجلسنا نتذاكر معهُ فمن جملة ما قال لي انهُ توجد سراية يقدّم فيها السلطان معاشاً للجنود المجروحين والعاجزين في خدمته فان كان لي خاطر ان امضي اتفرّج فهو يأخذني

---

١) وتُكتب عادةً اوردو او اوردى بالدال ومعناها المعسكر والميدان

٢) التفكة بالتركيّة البندقيّة

اليه . فرفعت بيده وفي الغد ارسل من قبله ناسا اخذوني وهناك اعدّ لنا وليمة فاخرة عظيمة وكانت هناك جوقة من اصحاب آلات الطرب قدر خمسين آلة من كل شكل وصنف حسب عوائدهم التي قطّ ما كنت رأيتها . وكانت هذه الآلات تدق وتلعب طول ما كنّا جالسين على المائدة

وبعد قيامنا من المائدة بدينا نتفرّج على السراية وكان الوزير المذكور سائرًا قدامي الى ان اخذنا الى بيمارستان مرضى العسكر الذي كان في تلك المدينة معيناً لهم ولجماعة السلطان الذين كانوا لمّا يمرض منهم واحد يضعونهُ في هذا البيمارستان ويهتمّون به

وحال دخولي اليه رأيت قدر خمسمائة او ستمائة فرشة فوق التخوت وكلها فرشات مكلفات مثل الفرشات التي توجد في بيوت الاكابر ورأيت قدر خمسين او ستين او اكثر من الخدّام كلهم صفوفاً صفوفاً . ورأيت بعض المرضى راقدين في فرشاتهم والاطبّاء محتفّة حولهم مع الطباخين والفراريج والدجاج والامراق ورأيت اسبيتالاً برسم الادوية شيء عظيم جدًّا وذلك المكان كان شبه روضة من الرياض ولاجل الاعتناء الذي لا يقدر احد من الاكابر على مثلهِ ولا في بيتهِ فتعجّبت غاية العجب من اعتنائهم

وما عدا ذلك الاسبيتال ادخلونا الى مكان آخر وهو برسم الادوية المكلفة فرأيت في ذلك المكان من انواع القناني البلّورية التي هي انواع واشكال مختلفة شيء لا يُعدّ ولا يُحصى وهي مملوة من كل اشكال الادوية المركبة وادخلونا الى اوضة وهي برسم الآلات مثل مناخل وهاونات واجران ومكينات وغير الآت مختصة بالطب والصناعة . ثم اخرجونا الى مكان اخر وذلك المكان مختص بالآت الجراحة وهو شيء يكلّ عن وصفه اللسان من كثرة الآلات . ثم مضينا لنرى المطبخ حيث يُطبخ الطعام للمرضى فرأينا قدر ثلاثة الآف جندي قائمة هناك منهم دائرون ومنهم قائمون على التخوت وهم جميعهم في تلك السراية التي هي متّسعة جدًّا وذات ثلاث طبقات وهي مبنيّة بالحجارة في مكان لائق

وفي جانب تلك السراية بناء كنيسة عالية جدًّا وهي مزيّنة بالذهب الكثير والنقوش والشخوصة الجميلة وقد بُنيت بصناعة عجيبة وتعب زائد وداخلها ارغون

كبير وعظيم جداً كانوا يلعبون فيه لما دخلنا اليها. وبقيّة ما رأيناهُ هناك شيء لا يُكيَّف ولا يُوصف. وبعد ان تفرجنا مضينا من هناك الى محلّنا

السفير الثاني في دعوة المريشال دي فيلّروا وزيارتهُ خزينة الدولة

فبعد ثلاثة ايام ارسل المريشال مدبر السلطان عزمني عندهُ للغداء في سرايته فذهبت الى سراية الملك حيث كان فاستقبلني وعمل لي واجباً عظيماً. وبعد ان مكثنا اخذ يسألني هل لك اشتياق ان ترى السلطان. فادخلني الى الديوانخانة فرأيت حضرة السلطان هناك مثل اوّل مرّة. وكان معهُ كم شاب من الاكابر يسير معهم ويلاعش (١). فلمّا رآنا دخلنا اتى الى نحونا وانا تقدمت اليه فاظهر لي كمال محبة وصداقة ورواد في سائر خطابهِ. وكان يتأمّل كثيرًا في ملبوسنا وكسوتنا وكذلك ارلئك الشباب الذين معهُ كل واحد بمفرده كان يأتي ويتأمل بثيابنا فسألني في ذلك الوقت المريشال قائلًا: «ماذا تقول يا سيدي في حسن سلطاننا وجماله وشرفه». اجبتهُ: «ما شاء الله حفظهُ الله» فقال لي: «ان عمرهُ الآن احدى عشرة سنة واربعة اشهر». وكان يمدح لي شعرهُ الذي هو ليس مستعارًا مثل بقية شعور الافرنج بل هو خلقة من شعر رأسه. وبقوله هذا مسك السلطان والتفتَ الى ناحيتي لكي يُريني شعر رأسه. حينئذٍ انا مسكتُ شعر رأسهِ بيدي وقلت لهُ: «ما شاء الله خرسك الله وحفظك». وكانت اعضاؤهُ جميعها مناسبة ومشيهُ كذلك كان متناسبًا وجميلًا وخطابهُ عذباً جداً

ثم انَّ المريشال قال للسلطان: «يا سيدي امش امامهم لكي يروا مشيك». فمشى السلطان حتى الى نصف الديوانخانة. ومن هناك عاود. ثم امره المريشال ان يجري بسرعة لكي يرينا خفّتهُ. ففعل كذلك وهرول الى نصف الديوانخانة وعاود. ثم سألني المريشال هل عجبني سلطانهم فاجبتهُ بعد التمنّي: بارك الله فيه

ثم بدينا ندور ونتأمل في التصاوير العجيبة التي بتلك الديوانخانة وكان السلطان يمشي معنا وهو كان يُرينا تلك التصاوير وكان يعرّفنا اصحابها واساميها ومن الذين صوروا هذه الصور وكان يقول لنا: «هذه صورة فلان وهذه صورة فلانة».

(١) من الفاظ الحليين اي يتحدّث

وبعد ذلك اخذنا الى مكانه المخصوص بهِ ومنهُ الى مكان آخر ثم الى مكان آخر الى ان انتهينا الى مكان منامة السلطان وارانا فرشته حيث ينام. ومنهُ الى المكان الذي كان يدرس بهِ القراءة تحت يد الخوجه معلمهِ. اخيرًا تودَّعنا منهُ وخرجنا

وحال خروجنا من عنده جلسنا على المائدة مع المريشال وبعد ان تغدَّينا سألني المريشال: «هل لك خاطر ان ترى خزنة جواهر السلطان» اجبتُهُ: «نعم يا سيدي رهذا غاية أربي». فقال لي: «تفضَّل». واخذني بيدي ودخلنا الى اوضة السلطان فرأينا الخزندارية واقفين فعندها امرهم المريشال ان يكشفوا عن خزنة الجواهر ويخرجوها. فكشفوا واخرجوا ما كان من الجواهر فكنا نفحص عن كل واحدة واحدة بمفردها ورأينا شيئاً يدهش العقول ورأيت هناك ثلاثة اثواب الواحد منها مرصَّع باللؤلؤ الرطب الكبار والياقوت المختلف الالوان. والثاني كان مرصَّعاً باللؤلؤ الكبار مع قطع من الالماس الكبار الذي كان موجودًا فيهِ كل لؤلؤة قدر بندقة او اكبر واللؤلؤ ابيض ومستدير ومناسب لبعضهِ وكذلك الالماس كان بغاية الحسن والخلقة. والثوب الثالث كان مرصَّعاً كلهُ بالالماس. ولعمري انهُ امر عسر جدًّا ان نخبر عن قيمة مثل هذه الاشياء. وثمنها او ثمن كل واحدة من هذه الجواهر التي هي بغاية الجودة والحسن والاعتبار. وكشف لنا حبل لؤلؤ سلكاً قدر ستين حبَّة وكل واحدة قدر جوزة الطيب مع حسن الجودة والصفاء. وكانت هذه المسبحة يمسكها السلطان بيده لمَّا يجلس على تخت السلطنة في الديوان ويلبس واحدةً من هذه البدلات حتى يوم دخولي لعنده كانت عليهِ واحدة من هذه البدلات

ورأيت هناك علبةً داخلها حجر ليس لهُ نظير فهو بالكبر قدر جوزة الطيب مدوَّر يلمع مثل البرق مع شعاع عظيم منبعث منهُ نور كالبرق وهو في غاية البياض ولا هو مثقوب وحين يضعونهُ على مرآة لم يزل يتحرَّك ولا يهدأ قط وكانوا يسمونهُ الدرّ السلطاني (١)

ورأيت هناك من الالماس الاصفر واحدة كانت في علبة مثلثة الشكل بنفسجيَّة اللون وهي في غاية الكبر والثمن. ورأيت ايضاً من الياقوت الازرق وهو مربَّع

١) يريد الماسة الشهيرة المعروفة براجان (le régent) التي وصفها الاديب اسكندر افندي طحينة في المشرق (٦ [١٩٠٣]: ٨٧٢)

وطويل قدر الباهم . وايضاً حجر اخر الماس كانوا اشتروه من الانكليز من قريب بستة الاف كيس مربع الوسط وجانبهُ شكل القبَّة وهو في غاية الصفا والحسن ابيض بالغاية وبرّاق ولم يوجد فيه اثر العيب ثقلهُ مائة وثلاثون قيراطاً وكبرهُ قدر الجوزة الروميَّة (١ وكان حضرة السلطان بيده يعزمني ويناولني هذه القطع بيدي لكي ابصرها . ثم ان المريشال سأل السلطان قائلاً : « يا سيدي هذه الجواهر لمن تخص ؟ » فاجابهُ السلطان : « انها تخصني » . فردَّ المريشال قائلاً لهُ : « لا تخصك بل تخص تاجك ومملكتك » انظر هذا الجواب !

وقوف السفير على رسوم المدن والقلاع الوطنيَّة

ثم اني ودعت السلطان والمريشال وخرجنا فقال لي المريشال : اصبر لا تروح الآن عندنا طرائق ان الفرنساوية لهم عادة ان يرسموا رسم البلدان والاقاليم في اوراق وقد رسمنا هنا كل البلدان والاقاليم رسماً خصوصيًّا فرأيتها ورأيت كل المدن التي في حدود مملكتهم قد صوَّروها مع البقع والسهول والجبال والبساتين والاكام والانهر والحارات الخارجة والداخلة خارج الاسوار وداخلها ووزنها وصعودها والذي يتأمل يظن انهُ يعاين تلك الحدود المصورة بعينهـا . وقد اجتهدوا جيداً كثيراً كليًّا حتى انهم حرَّروا وجعلوا تلك الاماكن كلها في الرسم في كيفيتها الحقيقيَّة مع الاسواق والبيوت والكنائس والجسورة . والفـائدة الناتجة من هذه الرسوم والتصاوير هي هذه انهُ اذا عرف قاصدُ حصار واحدة من هذه البلاد والمدن المتطرفة يبصرون من اي مكان يقدر يجيء عليهم واي مكان يجب حفظهُ والاحتراس عليه . والسلطان مع معاينته هذه الرسوم يعود كانهُ حاضر على تلك الاطراف وقد انفقوا نفقات عدة لا تحصى على تكميل هذه الرسوم وضبطها وقال لي : « ان هذه لا يظهرونها لاي واحد كان الا ان كنت تشتهي ان تراها على خاطرك » . فاجبتهم : « ان هذه غاية قصدي »

فعي ذلك الحين امر المريشال الى العسكر المتعين على حفظ المدن المتطرفة في اوقات الحصار ان يُحضرنا الى مكان تلك الرسوم فحالاً ذهب قدَّامنا ونحن نتبعهُ

(١ هذه الماسة موصوفة ايضاً هناك (ص ٨٧٣) وهي المعروفة باسم ماسة سَنْسي

الى ان عبرنا الى ديوانخانة كبيرة طويلة وفيها من تلك الرسوم مائة وخمسة وعشرون رسماً وكل رسم كان موضوعاً على سرير وهكذا كانت تلك الرسوم مضبوطة ومدققة حتى انهُ لا يمكن ان توصف بشفةٍ ولسان لانهُ شيٌ عجيب وغريب وهو من عجائب الدنيا رسم جميع الآكام والجبال والاودية والانهر التي في جوانب القلاع مع الحارات والحقول والاماكن المظللة بالاشجار فهي مرسومة برسمها حتى الاشجار بورقها وزهرها وثمرها مرسومة بحريرٍ والمياه جارية بجانبها كما هي في اماكنها ومن اي مكان يأتيها الماء والى اي مكان يذهب وان كان الماء يحوط بالقلعة او يجري في وسط القلعة او على طرفها. وايضاً مرسوم فيها الجسورة والقناطر وموقع الخنادق وابواب القلاع ووسع الباب والقلعة ووسع الاسواق وضيقها حتى والكوات والشبابيك التي في الدور والبيوت ومحصل الكلام ان هذا الرسم مضبوط بهذا المقدار حتى منهُ يقدر الانسان يطلع على معرفة المدن واخبارها كأنهُ شاهدها بعينهِ. ولم أرَ في فرنسا مثل هذه الفرجة العظيمة لانهُ شيٌ لا يقدر الانسان ان يصفهُ بلسان

وكذلك اظهروا لنا بهذا الرسم جميع القلاع والمدن التي افتتحها السلطان وكل سلاطين فرنسا وقبضوا عليها من ايدي الاعداء. ومصوَّر بتلك الصور من ايّ ناحية قدروا على فتحها ومن ايّ جهة حاصروها وكيف اقاموا متاريسها وبالنتيجة النظر الى هذه الرسوم فقط يسهّل على الناظر معرفة وقوف واحوال كل واحدة من هذه القلاع والمدن المذكورة

وحين كنا بهذه الحالة شاخصين في تلك الرسوم واذا بالسلطان قد حضر الى عندنا وجلس فاخذنا في المخاطبة معهُ. فسألهُ بعض من كان موجوداً: « ياسيدي الملك هل كنت مشتاقاً ان ترى قاصد سلطان الاسلام »؟ فاجابهم: « نعم لاني عالم ان سلطان الاسلام في غاية الشوق اليَّ ». وبعد مفاوضة قليلة مكث قليلاً وذهب. وفي ذلك اليوم عينهِ رأيتُ السلطان ثلاث مرات. وكذلك مكثنا نتبصَّر في تلك الرسوم مقدار ثلاث ساعات وبعدهُ ذهب الملك مع الريشال الى الخارج وتوادَّعنا منهُ وتوجَّهنا الى محلي وقد ذهلني ذلك الرسم

(التتمة لعدد قادم)

(وها نضيف ما كتبه احد مشاهير ذلك الزمان الدوق سان سيمون (Saint-Simon) في مذكراته عن دخول سفيرنا الى باريس لموافقتها لموضوعنا)

Ambassade de Méhémet Effendi a Paris

(Mars 1721)

Extrait des « Mémoires de Saint-Simon » (t. XI p. 382-385, *éd. Hachette*, 1858)

Paris, vit un spectacle peu accoutumé, le dimanche 28 mars, (1721) qui donna beaucoup de jalousie aux premières puissances de l'Europe. Le Grand Seigneur, qui ne leur envoie jamais d'ambassades, sinon si rarement à Vienne, à quelque grande occasion de traité de paix, en résolut une, sans en être sollicité, pour féliciter le roi sur son avénement à la couronne, et fit aussitôt partir Méhémet-Effendi Tefterdar, c'est-à-dire grand trésorier de l'empire, en qualité d'ambassadeur extraordinaire, avec une grande suite, qui s'embarquèrent sur des vaisseaux du roi, qui se trouvèrent fortuitement dans le port de Constantinople. Il débarqua au port de Cette, en Languedoc, parce que la peste était encore en Provence. Il fit même quarantaine et le détour par Bordeaux pour venir à Paris, défrayé de tout depuis son débarquement, où il fut reçu par un gentilhomme ordinaire du roi et ses interprètes de langues, qui l'accompagnèrent jusqu'à Paris. Il y arriva le 8 mars, au faubourg Saint-Antoine, où il demeura huit jours, complimenté de la part du roi, etc., comme les ambassadeurs extraordinaires des monarques de l'Europe.

Le dimanche 16 mars, le maréchal d'Estrées et Rémond, introducteur des ambassadeurs, l'allèrent prendre à une heure après midi. Dès qu'ils furent arrivés, ils montèrent à cheval avec l'ambassadeur entre eux deux. Deux carrosses du maréchal, force valets de pied, pages, gentilshommes, chevaux de main, la police avec trompettes et timbales, trois escadrons d'Orléans-Dragons, douze chevaux de main des écuries du roi, trente-six Turcs à cheval deux à deux, portant des fusils et des lances, Merlin, aide-introducteur, à cheval, puis les principaux officiers de l'ambassade, quatre trompettes de la chambre du roi, six chevaux de main de l'ambassadeur, harnachés à la turque, et tout cela extrêmement magnifique ; enfin l'interprète du roi, précédant immédiatement l'ambassadeur, dont le cheval était harnaché à la turque. Il marchait de front droit avec le maréchal et l'introducteur, environnés de leur livrée et de valets de pied turcs, L'écuyer de l'ambassadeur marchait à cheval derrière lui portant son sabre, et vingt maîtres du Colonel-général les côtoyaient à droite et à gauche ; venaient ensuite les grénadiers à cheval, le régiment Colonel-général, puis

les carrosses du roi et les autres qui vont aux entrées, côtoyés par la connétablie. Le régiment d'infanterie du roi, la compagnie de la Bastille, celle des fusiliers, se trouvèrent en haie jusqu'à la place Royale ; l'ambassadeur fut conduit par de longs détours à la rue Saint-Denis, Saint-Honoré, etc., et partout des pelotons, des escouades du guet. Il trouva la compagnie du prévôt de la monnaie en haie dans cette rue, le guet à cheval sur le pont Neuf bordé du régiment des gardes, et force trompettes et timbales autour de la statue d'Henri IV... Arrivés à l'hôtel des ambassadeurs extraordinaires, rue Tournon, ils mirent pied à terre dans la cour. Le maréchal accompagna l'ambassadeur jusque dans sa chambre, qui aussitôt après, lui donnant la main, le conduisit à son carrosse, et le vit sortir de sa cour. Tous les chevaux que montèrent l'ambassadeur et sa suite étaient des écuries du roi, et les chevaux de main de l'ambassadeur aussi, menés par des Turcs à cheval.

Le vendredi 21 du même mois, le prince de Lambesc et Rémond, introducteur des ambassadeurs, allèrent dans le carrosse du roi prendre l'ambassadeur à l'hôtel des ambassadeurs extraordinaires, où il fut toujours logé et défrayé avec toute sa nombreuse suite, tant qu'il fut à Paris, et aussitôt ils se mirent en marche pour aller à l'audience du roi : la compagnie de la police avec ses timbales et ses trompettes à cheval, le carrosse de l'introducteur, celui du prince de Lambesc, entourés de leur livrée, précédés de six chevaux de main, et de huit gentilshommes à cheval, trois escadrons d'Orléans, douze chevaux de main, menés par des palefreniers du roi à cheval, trente-quatre Turcs à cheval, deux à deux, sans armes, puis Merlin, aide-introducteur, et huit des principaux Turcs à cheval, le fils de l'ambassadeur à cheval, seul, portant sur ses mains la lettre du Grand Seigneur dans une étoffe de soie, six chevaux de main, harnachés à la turque, menés par six Turcs à cheval, quatre trompettes du roi à cheval ; l'ambassadeur entre le prince de Lambesc et l'introducteur, tous trois de front à cheval, environnés de valets de pied turcs et de leurs livrées, côtoyés de vingt maîtres du régiment Colonel-général ; ce même régiment, précédé des grenadiers à cheval, suivait ; puis le carrosse du roi et la connétablie. Les mêmes escouades et compagnies ci-devant nommées à l'entrée se trouvèrent postées dans les rues du passage, dans la rue Dauphine, sur le pont Neuf, dans les rues de la Monnaie et Saint-Honoré, à la place de Vendôme, devant le Palais-Royal, à la porte Saint-Honoré, avec leurs trompettes et timbales ; depuis cette porte en dehors jusqu'à l'esplanade, les détachements des gardes du corps, des gens d'armes, des chevau-légers, et les deux compagnies entières des mousquetaires. Arrivés en cet endroit, les troupes de la marche et les carrosses allèrent se ranger sur le quai, sous la terrasse des Tuileries : l'ambassadeur, avec tout ce qui l'accompagnait et toute sa suite à cheval, entra par le pont tournant dans le jardin des Tuileries.

depuis lequel jusqu'au palais des Tuileries, les régiments des gardes françaises et suisses étaient en haie des deux côtés, les tambours rappelant et les drapeaux déployés. L'ambassadeur et tout ce qui l'accompagnait passa ainsi à cheval le long de la grande allée, entre ces deux haies, jusqu'au pied de la terrasse, où il mit pied à terre, et fut conduit dans un appartement en bas, préparé pour l'y faire reposer en attendant l'heure de l'audience.

A midi, l'ambassadeur, accompagné du prince de Lambese et de l'introducteur, sortit de cet appartement avec tout son cortège, précédé de son fils, qui portait la lettre du Grand Seigneur sur ses mains élevées, et suivait l'aide-introducteur. Il trouva, comme les autres ambassadeurs extraordinaires, le grand maître et le maître des cérémonies au bas de l'escalier, bordé jusqu'au haut par les Cent-Suisses ; il en trouva d'autres en haie dans leur salle, leur drapeau déployé, et Courtenvaux à l'entrée pour le recevoir, qui faisait la charge de leur capitaine pour son neveu enfant. Le duc de Noailles, capitaine des gardes en quartier, le reçut à l'entrée de la salle des gardes, en haie et sous les armes. Il traversa le grand appartement jusqu'à la galerie. Elle était tendue des plus belles tapisseries de la couronne ; les dames fort parées remplissaient les gradins magnifiquement ornés, et la galerie, couverte de beaux tapis de pied, était fort remplie d'hommes. Au fond, elle était traversée de trois marches, et au bout de quelque espace, de deux autres sur lesquelles était le trône du roi ; à ses côtés étaient, à droite et à gauche, M. le duc d'Orléans et les princes du sang, debout et toujours découverts. Le grand chambellan, le premier gentilhomme de la chambre, le grand maître de la garde-robe et le maréchal de Villeroy, étaient tous quatre derrière le roi ; l'archevêque de Cambrai au bas des deux premières marches ; à droite et plus reculés, les trois autres secrétaires d'Etat sur le même plain-pied.

Dès que l'ambassadeur put être aperçu du roi, il s'inclina très-profondément à l'orientale, sa main droite sur sa poitrine. Alors le roi se leva sans se découvrir, et l'ambassadeur s'avança au pied des trois premières marches, où il fit sa seconde révérence. Il monta ensuite ces trois degrés, ayant à sa droite le prince de Lambese et le duc de Noailles ensemble de front, à gauche l'introducteur et l'interprète, derrière lui son fils, portant la lettre du Grand Seigneur en la manière qu'on a dit ; l'ambassadeur fit là sa troisième révérence, prit des mains de son fils la lettre du Grand Seigneur, qu'il éleva sur sa tête, puis la remit à l'archevêque de Cambrai, comme secrétaire d'État des affaires étrangères, lequel la posa sur une table près et à la droite du trône, couverte de brocard d'or. L'ambassadeur fit au roi son compliment de très-bonne grâce, d'un air fort respectueux, mais point timide ni embarrassé. L'interprète l'expliqua. Le roi ne parla point ni M. le duc d'Orléans ; le maréchal de Villeroy fit une courte réponse que l'inter-

prête rendit à l'ambassadeur. Alors il fit sa révérence et se retira à reculons, sans tourner le dos tant qu'il put être vu du roi, fit ses deux autres révérences où il les avait faites en venant, puis s'en alla lentement, regardant fort et d'un air très-assuré tout ce qui s'offrait à sa vue. Le prince de Lambese le conduisit à l'appartement où il était entré d'abord et y prit congé de lui. L'ambassadeur s'y reposa un peu ; puis l'introducteur à côté de lui, à sa gauche, il traversa la terrasse du palais des Tuileries, monta à cheval avec tout ce qui l'accompagnait, trouva dans la grande allée au pont tournant, à l'esplanade, les mêmes troupes dans les mêmes postes et les mêmes honneurs qu'en venant, le régiment du roi d'infanterie en haie jusqu'à la porte de la Conférence, les troupes qui l'avaient accompagné rangées sur le quai des Tuileries, et les carrosses, qui se remirent en marche dans le même ordre qu'en venant. Il passa sur le pont Royal, le quai des Théatins, devant le collège Mazarin, la rue Dauphine, et trouva partout, jusqu'à la porte de l'hôtel des ambassadeurs extraordinaires, les mêmes troupes et détachements, instruments de guerre qu'il avait trouvés allant à l'audience, pendant laquelle elles s'étaient postées sur les lieux de son retour . . . Peu de jours après l'ambassadeur turc fut au Palais-Royal, à l'audience de M. le duc d'Orléans, mais tout simplement, et reçu comme les ambassadeurs extraordinaires, conduit sans troupes et avec peu de cortége par l'introducteur de M. le duc d'Orléans.

تكوين البيضة في الحيوان

للاب اسكندر طوران اليسوعي

ان انتشار الحياة بالولادة سواء تمّ في الحيوانات الراقية ام في الحشرات ام في النبات لمن الامور العجيبة التي لم يدرك الانسان حتى الآن سرّ نواميسها الخفيّة . وانما الخالق قد وضع هو نفسهُ تلك النواميس ليصون بها الانواع المتباينة مدى الدهور وقيّد تلك النواميس بشروط ووسائل ملائمة تختلف على اختلاف درجات الاحياء من نبات او حيوان او انسان

وفي هذا البحث نقصر كلامنا على تكوين البيضة في الحيوان طائرًا كان او زاحفًا او سمكًا او هامّةً من صغار الهوامّ . فلكل هذه الكائنات بيضها الخاص فبيض الطيور يكسوهُ ابدًا غلافٌ كلسي صلب . وللزحّافات بيضها لكنّ غلافهُ

prête rendit à l'ambassadeur. Alors il fit sa révérence et se retira à reculons, sans tourner le dos tant qu'il put être vu du roi, fit ses deux autres révérences où il les avait faites en venant, puis s'en alla lentement, regardant fort et d'un air très-assuré tout ce qui s'offrait à sa vue. Le prince de Lambese le conduisit à l'appartement où il était entré d'abord et y prit congé de lui. L'ambassadeur s'y reposa un peu ; puis l'introducteur à côté de lui, à sa gauche, il traversa la terrasse du palais des Tuileries, monta à cheval avec tout ce qui l'accompagnait, trouva dans la grande allée au pont tournant, à l'esplanade, les mêmes troupes dans les mêmes postes et les mêmes honneurs qu'en venant, le régiment du roi d'infanterie en haie jusqu'à la porte de la Conférence, les troupes qui l'avaient accompagné rangées sur le quai des Tuileries, et les carrosses, qui se remirent en marche dans le même ordre qu'en venant. Il passa sur le pont Royal, le quai des Théatins, devant le collège Mazarin, la rue Dauphine, et trouva partout, jusqu'à la porte de l'hôtel des ambassadeurs extraordinaires, les mêmes troupes et détachements, instruments de guerre qu'il avait trouvés allant à l'audience, pendant laquelle elles s'étaient postées sur les lieux de son retour . . . Peu de jours après l'ambassadeur turc fut au Palais-Royal, à l'audience de M. le duc d'Orléans, mais tout simplement, et reçu comme les ambassadeurs extraordinaires, conduit sans troupes et avec peu de cortége par l'introducteur de M. le duc d'Orléans.

تكوين البيضة في الحيوان

للاب اسكندر طوران اليسوعي

ان انتشار الحياة بالولادة سواء تمّ في الحيوانات الراقية ام في الحشرات ام في النبات لمن الامور العجيبة التي لم يدرك الانسان حتى الآن سرّ نواميسها الخفيّة . وانما الخالق قد وضع هو نفسهُ تلك النواميس ليصون بها الانواع المتباينة مدى الدهور وقيّد تلك النواميس بشروط ووسائل ملائمة تختلف على اختلاف درجات الاحياء من نبات او حيوان او انسان

وفي هذا البحث نقصر كلامنا على تكوين البيضة في الحيوان طائرًا كان او زاحفًا او سمكًا او هامّةً من صغار الهوامّ . فلكل هذه الكائنات بيضها الخاص فبيض الطيور يكسوهُ ابدًا غلافٌ كلسي صلب . وللزحّافات بيضها لكنّ غلافهُ

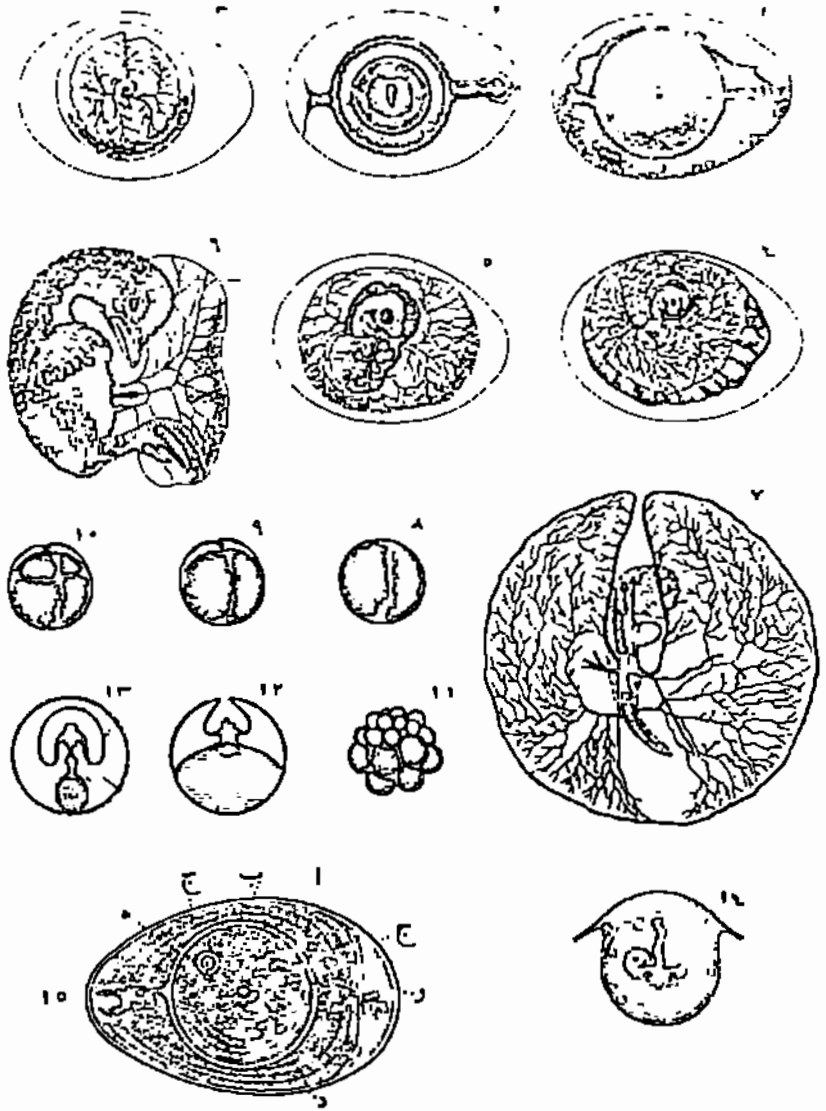

بيضة الدجاجة في جميع احوالها

١ البيضة قبل الحضانة ٢-٥ البيضة في ايام الحضانة الثاني ثمّ الرابع ثمّ الخامس ثمّ السادس ٦ البيضة في اليوم ١٩ من الحضانة ٧ الحركة الدمويّة في القرّوج اليوم الثالث ٨-١٤ تقاطيع البيضة في اطوارها الاولى وصور انصافها ١٥ تركيب البيضة واقسامها : ا القيض اي القشرة الجامدة . ب الفرق او القشرة الباطنة . ج الزلال او الآح . د الصفرة او المحّ . ه جرثومة الحياة . و غرفة الهواء

جُلَيدة ليّنة . وكذلك السمك يتولَّد من البيضة لكنَّ بيضهُ دقيقٌ غالباً وكثير العدد . امَّا الحشرات كالعناكب والجراد والفراش والذباب واليعسوب وما ينتظم في سلكها من الوف الانواع المنتشرة على سطح المعمور فانَّها كذلك تولد من بيضةٍ وانَّما بيضتها لا تكاد العين تميّزها لدقَّتها

وكلّ منَّا يعرف بيض الطيور كبيض الدجاج ودواجن الطير وكذلك نعرف بيض بعض الهوامّ كبزر دود القزّ مثلاً . ولا نجهل بعض اشكال بيض السمك كبيض الحُفَش (esturgeon) المعروف بالبطارخ (caviar) فانَّ انثى هذا السمك تبيض في مرَّة واحدة اوفاً مؤلفة من السِّرّ حتى بلغ احصاؤها احياناً ١,٩٠٠,٠٠٠ بيضة . وكل هذه المخلوقات تتولد من بيضها كما تولد الدجاجة من بيضتها والفراش من بزره وسمك الحُفَش من سرنهِ المُلقى في المياه

ومن تأمَّل بيوض الطير اخذهُ العجب من اختلافها سواء كان في الشكل ام في اللون ام في الحجم . فمنها ما يكون كروياً كالجُلَّل . ومنها ما هو مستطيل كبيض الدجاج . وبعضها محدَّد الطرفين او شبيه بالكمثرى طرفهُ الواحد محدَّد والآخر ضخم . وكذلك الوانها فمنها البيضاء الناصعة ومنها الزرقاء اللون . وبعضها لون ازرق او سنجوني ولازوردي . وهذه الالوان ربَّما تعدَّدت وامتزجت ببعضها امتزاجاً نظامياً . ومنها ما تختلط الوانها دون نظام فترى فيها نُكتاً حمراء وسوداء وخضراء . الَّا انَّ هذا الاختلاف العجيب واقع بين بيوض طيور متنوّعة لا طيور الجنس الواحد التي تلزم في بيضها شكلاً واحداً ولوناً واحداً

وما قلناهُ عن اشكال البيض والوانهِ يصدق كذلك في اجرامهِ التي تختلف ايَّ اختلاف فتكون البيضة بالغة الكبر كبيض النعام او صغيرة جداً كبيض الطائر المعروف بالذباب (oiseau-mouche) . وقد وجدوا في جزيرة مدغشكر بيض طائر كالرخ يدعوهُ العلماء ايبيورنيس (epyornis) وهو اليوم مفقود ويظهر من بيضهِ انهُ كان في طول ثلاثة او اربعة امتار . وبيضهُ يسع تسعة ليترات (وبعضهم يقول ستين) من الماء (١ اعني ما يوازي سعة ١٥٠ بيضة من بيض الدجاج . فاذا قولك ببيض طائر الذباب فلو

---

١) اطلب وصفهُ لحفيرة الاب ا. صالحاني في المشرق (١ [١٨٩٨] : ٢٠٥)

اردت المعارضة بينهما لاقتضى لك ٥٠,٠٠٠ بيضة منهُ لتبلغ مضمون بيضة واحدة من بيض الرخ لأنَّ ذاك الطائر الذي جمعت الطبيعة في ريشهِ الالوان العجيبة من الذهب والحجارة الكريمة والجواهر الفاخرة لا يزيد حجمهُ احياناً على حجم الزنبور الكبير وهو يتَّخذ لهُ عشًّا صغيرًا في كُتلة من القطن على قدر نصف المشمشة فبيضهُ دقيق جدًّا يلزم منهُ ٣٤٠ بيضة لموازاة بيضة الدجاجة. والعناكب في البلاد التي يولد فيها هذا الطائر تتصيَّد بيضهُ كما تتصيَّد في بلادنا الذباب. فانظر يا رعاك الله الفرق بين هذا البيض الدقيق وبيض طير الرخ السابق ذكرهُ

ثمَّ انَّ من البيض ما يكون ادقّ وانعم جدًّا من بيض طائر الذباب كبيض البعوضة مثلاً المعروفة في هذه البلاد بالكَيت . وادقّ منها بيض حشرات لا ترى بالعين المجرَّدة فالفرق يكون بين هذه الاشكال على غاية الاختلاف كالفرق بين الجمل والنملة

على انَّ هذه الاختلافات في اجناس الطيور والاسماك والهوامّ تتَّفق في كونها ناقلة الحياة الى طبقاتها المتباينة على ما قرَّرهُ لها خالقها سبحانهُ وتعالى. فكل نوع من هذه الاجناس لا يزال جارياً على نظام واحد في وضع بيضهِ فيكون بيضهُ مطلقاً في صورتهِ الخارجيَّة وفي تركيبهِ الداخلي متشابهاً بلا اختلاف وهو ايضاً يُنتج حيًّا مثل الحيّ الذي سبق وانتجهُ فهذه سنَّة الخالق نراها بالعيان ثابتةً لا تحيد عن خطَّتها المألوفة

دَعْنا الآن نُعنى النظر في بيضة واحدة من تلك الاشكال ولنتَّخذن كمثالنا بيضة الدجاج لعظمها وسهولة درسها فانَّ في تكوينها وهندامها عجائب لا تخطر على بال العامَّة. فاعتبر بادئ بدء قيض البيضة اي قشرتها اليابسة فهذه من الجماد لا اثر فيها من لحم او عظم وانَّما هي مادَّة متحجرة يُصطنع منها الكلس. وحجر الكلس كما لا يخفى من اصلب الحجارة اذا اراد المرء سحقهُ وتنعيمهُ عمد الى نار الأتون المتَّقدة ليحوّلهُ الى كلس . افليس من العجب انَّ معدة الدجاجة تقوى على هضم هذا الجماد وتحويلهِ الى كلس فانَّها بقوَّة حرارتها الغريزيَّة قد ذوَّبت تلك المادَّة الجامدة فاجازتها الى دمها ومنهُ الى اجهزتها حتى مبيضها حيث جعلتهُ غلافاً لبيضها. فلله من آلة تبلغ غايتها على افضل منوال كأنها كيميّ نطاسي يحلّل ويركّب بفهم وادراك

وانما الادراك ليس هو للدجاجة التي تقوم بكل هذه الاعمال العجيبة وهي تتبع غريزتها دون أن تدري بما يجري فيها كما أننا لا ندري بتحوُّل المآكل فينا الى دمنا وجسمنا. وكذلك لا يجوز ان تُنسب هذه الاعمال للصدفة ونحن نراها تجري بنظام وثبات في كل دجاج العالم. فلا ندحة من نسبتها الى من يرشد الحيوان الى عمله وطبعَ فيه تلك الغريزة العجيبة التي يلزمها من بدء العالم دون ان يحيد عنها ذرةً

ثمَّ في قشرة البيضة ما هو اعجب من ذلك. اشخص اليها بكل روية تجد حتى بعينك المجرَّدة في كافة سطحها ثقوباً ناعمة كأنها ثقوب إبَر دقيقة جداً وهي في طرفها الغليظ اكثر منها في بقيَّة البيضة. تلك مسامّ البيضة لانّ في البيضة كائناً حيا وكل حيّ يحتاج الى الهواء ليستنشقهُ والّا مات لا محالة. وهذا الحيّ في البيضة يتنفَّس من تلك المسامّ التي منها ينفذ الهواء الخارجي الى داخل البيضة. امّا اذا اراد الانسان ان يحفظ البيضة من الفساد زمناً طويلاً فانهُ لا ينال ذلك الّا بان يمنع نفوذ الهواء الى باطنها لكنهُ بذلك يقتل فيها جرثومتها الحيَّة. أرأيت حكمة الخالق بتجهيز تلك الكوى لترويح البيضة. فمن يستطيع القول بان الدجاجة هي التي فتحتها لحياة فرخها بادراكها الخاصّ؟

ولكن هلمَّ بنا نكسر تلك القشرة لنفحص ما يحتوي باطنها. وانما يجب العمل بكل هدوء ثمَّ لنصبَّ مضمون البيضة على صحن فيصيبهُ تغيير في هيئته لكونهِ نصف سيَّال. ومع هذا التغيير يمكنك ان تلحظ كيف محّ البيضة اي صفرتها متجمّد في أحشائها اي زلالها. وهذا الأخ على شبه الطبقات الراكبة فوق بعضها وهي تنبسط وتنفتل على طرفي البيضة ضمن الرِّقّ الملتزق (انظر الصورة)

وان سألت عن سبب ذلك ومعلولاته تفهمهُ بمثال ليمونة نجعلها في منديل ثمَّ نفتل طرفي المنديل بوجه منعكس كل طرف بيد فتصبح الليمونة كأنها ضمن كيس مفتول الطرفين فعلى هذه الصورة يكون محّ البيضة في وسط زلالها. فلنفرض الآن انّ حجم الليمونة يكبر شيئاً فشيئاً ويحتاج الى مسافة اوسع فلا بُدَّ انَّ فتلات المنديل تنحلّ ايضاً دون ان تخرج الليمونة من مكانها

ولعلَّك تقول. واي عجب في ذلك؟

إرعني سمعك فتفهم. انَّ صفرة البيضة معدَّة لأن تكون يوماً جسمَ فرخ

الدجاجة بعد الحضانة وسيدخل الزلال في جسم الفرُّوج وتكوين اعضائه بالتدريج فيصير عظماً او لحماً او عضلات فيدو الجسم رويداً رويداً . فالزلال المتفتل حول المحّ كما رأيت في مثل منديل الليمونة يحفظ المحّ بسلامته لئلا يصدم بالقشرة فتؤذيه . وكذلك الزلال يدفع عنهُ تقلُّبات الجوّ من حرارة ورطوبة لئلا تنفذ بسام القشرة فتضرُّهُ . افترى الآن ما صنعتهُ الطبيعة او بالحري العناية الالهيَّة لسلامة الفرخ وكيف فتحت لهُ منافذ ليتنفَّس منها دون أذىً بفضل الزلال المستدير حول المحّ عند تحوُّلهِ الى فرخ لطيف الجسم

وهذه استحالة صفرة البيض الى طائر صغير هي نفسها من العجائب فكيف يا ترى تمَّت ؟ وجِّه نظرك الى المحّ المذكور تجد في بعض انحاء سطحه نكتةً مستديرة ذات بياض خفيف فتلك جرثومةٌ حيَّة . هناك مركز الحياة التي سوف تنبعث من هذه الصفرة عند حضانة الدجاجة فتحيي موادَّ البيضة وتركب منها جسماً حيًّا . والصفرة التي حولها انَّما هي مستودع غذاء ذاك الحيّ يستمدُّ منها حاجتهُ لتركيب كيانهِ . فبفعل الحرارة والهواء يكتسي الجسم بشبكٍ من العروق الدقيقة فيجول فيها الدم الذي تدفعهُ تجاويف قلبٍ هو غاية في النعومة . ويجوّلان الدم تتكوَّن انسجة اللحم ثم الاعضاء ثم العظام ولا تلبث اجهزة الهضم ثمَّ اجهزة التنفُّس والاعصاب ان تلوح في صورتها ثمَّ يظهر الرأس مع نخاعهِ ووجه الفرُّوج مع عينيهِ ومنقارهِ وكل ذلك يتصلَّب ويشتدّ الى ان تسع زفرقتهُ في البيضة . وبعد يوم او يومين تراه ثقب البيضة فاخرج منها رأسهُ المكسوّ بالزغب الرطب ثمَّ بقيَّة جسمهِ ومن ساعتهِ يركضُ وراء امّهِ ويلتقط ما يجدهُ من الحبوب

هذه اشياء عاديَّة تجري بجوارنا صباح مساء ولو سمعتها مربية الدجاج لضحكت من كاتبها . ولكن انشدك الله ألا ترى في اطوار هذا الفرخ الصغير ما يسبي عقول الحكماء ؟ فاين هذا الطائر اللطيف من تلك السوائل المائعة الصفراء والبيضاء التي شاهدناها قبل ايام قليلة . فمن استطاع ان يحوّل هذه الى ذاك ؟

لعلَّك تجيبني انَّك قرأت في بعض الصُّحف او كتب بعض المدَّعين بالعلم انَّ الطبيعة هي التي تتولَّى هذه الاعمال وانَّ كل ما يجري في العالم خاضع لنواميسها وانَّ المادَّة تستطيع بذاتها ان تترقَّى وتنتظم وانَّ الصدفة يوماً اوجدت لها جرثومةً من

الحياة عملت فيها العوامل الطبيعيَّة فنمت وبناموس الترقي تحوَّلت من طور النبات الى الحيوان ثم الى الانسان. فهذا سرّ الطبيعة الدفين قد اكتشفهُ هؤلاء المتفلسفون على زعمهم وازالوا به كل الشبهات

على رسلك ياصاح ودعنا نعود الى بيضتنا . أترى يا رعاك الله انَّ الصدفة اي الطبيعة العمياء تستطيع ان تكوّن بيضةً واحدة من بيض الدجاج ثمَّ تُخرج من هذه البيضة نامشاً حيّاً. ولو صحَّ لها ذلك مرَّةً أتراها تستطيع ان تكرّر العمل كل يوم ليس لطائر واحد لكن لالوف الالوف من الطيور والهوامّ وتخصّ كلًّا منها ببيضها دون اختلاط في الحجم واللون والكم والكيف

وهنا دَعْني استطرد قليلًا في الكلام لأحصل على ما اطلبهُ من الجواب. لا شكَّ في انك سمعت ببعض اهل العلم ممَّن يصرفون همَّهم الى جمع امثلةٍ من العاديَّات الراقية الى قبائل عاشت في الازمنة السابقة للتاريخ اشتهارها بادواتهم الخشبية كاصداف البحر مثلًا ثقبوها على شكل معاوم وخلَّفوها في بعض المغاور القديمة وكقلائد من خرز او قِطَع من العظم محدَّدة في احد طرفيها مثقوبة في الطرف الآخر يُستدل منها على انَّ اولئك الهمج اتَّخذوها كسلّات خاطوا بها جلود الحيوان ليتَّخذوا منها ثياباً او يصطنعوا منها خيماً. واذا وجدوا قطعاً من الصوَّان منحوتة على هيئات شتَّى اعلنوا بانَّ تلك القطع استخدمها الاوَّلون لاشغالهم بمثابة سكاكين او مساحي او مناشير او اسلحة. وان اعترضتَ عليهم قائلًا : « هذه اوهام لا طائل تحتها فانَّ مثل هذه الشظايا من الصوَّان يوجد منها على شواطي كل البحار ومنها في رأس بيروت كثير مثلها. امَّا هذه الثقوب وآثار النحت انَّما هي عمل الصدفة » فيجيبك اولئك العلماء : « انك انت المخدوع ياصاح ألا ترى انَّ هذا الصوَّان قد نُحت نحتاً باليد لغاية معلومة وعلى هيئة معيَّنة. وهذا لا يصير بالصدفة بل هو عمل البشر الاوَّلين كما ترى مثلهُ في البلد الفلاني وفي المغارة الفلانية على عمق كذا وكذا من الامتار. فهذا دليل باهر على انَّ هذه المنحوتات هي عمل السكان الاوَّلين في الامكنة التي يوجد منها شيء »

فترى انَّ اولئك العلماء يفحمونك بادلَّتهم واكتفوا بهذه الآثار الخفيفة ليؤكدوا بانَّها بيِّنات على عمل ابناء آدم العقلاء. ومثلهم العامَّة وكل ذوي فهم فانَّ الفلَّاح الذي يرى في حقلهِ بعض الحرفيَّات او حجارةً منحوتة عليها بعض حروف كتابيَّة لا يشكّ

من ذلك عمل اسلافه من البشر وان قال له القائل انّ ذلك من الصدفة ضحك منهُ. فكيف تقنع بعد ذلك يا صاح بما يقولهُ لك صحافيٌّ قليل التروّي او كاتب زنديق بان عجائب الكون ليست سوى قوى عمياء لا تحتاج الى مكوّن خلقها وجهّزها بآلياتها لتقوم بحاجاتها وحفظ انواعها. اليس من الجنون ان يُنكر وجود خالق يدبّر كل هذه الكائنات ويحفظها ويرشدها الى صيانة صغارها؟ فكيف يقنعك الملحد بان الصدفة اوجدت من بيضةٍ طائرًا مزدانًا بريشهِ ثم داومت على هذا العمل بحيث لم تزل البيضة عينها تأتي بنوع واحد من الطيور وتجهّزهُ دائمًا بهيكل جسمهِ العجيب مع اختلاف اغانيهِ ومشاعره وان تلك الصدفة العمياء كما نجحت في تكوين هذا الطائر اصابت ايضاً في توليد كل اصناف الطير والاسماك والحشرات وجهّزتها بادواتها العجيبة وغرائزها المدهشة في حركاتها وسكناتها وارتزاقها في اختلاف اطوارها ونظّمتها نظاماً لو اجتمع عليهِ كل فلاسفة العصور لقصروا عن القيام بهِ؟ اليس كلامٌ كهذا دليلًا على غباوة قائليهِ الذين لا يرون اثر عمل صغير الّا نسبوهُ الى انسان فهيم وهم ينظرون كل عجائب المخلوقات فيزعمون انّها مفعول الصدفة!!

فيا لله كيف تستطيع الصدفة ان تركّب جسم الزُّوج وتوالف دقائقهُ المختلفة؟ او كيف يمكنها ان تحوّل بيضة من بيض الهوامّ الصغيرة الى دودة تعرف عند مولدها اختيار غذائها ثمّ تتحوّل الى فراشة او الى جرادة او بعوضة مع القوّة لتوليد غيرها شبيهاً بها؟ أيقال انّ الصدفة تنتج تلك البعوضة المستدقّة التي لا تُرى بالبصر وتودعها جرثومة الحياة التي تحتوي كل الاجهزة اللازمة لسرّها وتناسلها؟

لا لعمري ليس جواب المتشبثين باذيال الصدفة جواباً معقولًا بل هو جواب الجهلة الحمقى الذين لا يُريدون ان يُعملوا نظر العقل في طلب الاسباب فيلقون عن عاتقهم مؤونة البحث. ولا يَقُل لنا الملحدون اننا لا نستطيع ان نبيّن كيف وُجدت المخلوقات ونشرح كثيرًا من اسرار الطبيعة. او ليسوا هم ايضاً قاصرين عن تعليل امور عديدة تجري تحت نظرهم فليذكروا جواب تلك العجوز التي اراد احد الملحدين ان يربكها بالشبهات الباطلة فقاطعتهُ قائلةً: « او تستطيع انت يا سيّدي ان تبيّن لي كيف النار تصلّب البيض وتذيب السمن او كيف الشمس تجمّد الطين وتذيب الثلج » فأخجلتهُ. وسار الى سبيله

كلّا ثمّ كلّا هيهات أن تأتي الصدفة بعمل منتظم ونحن نرى النظام في المخلوقات على غاية كماله . فهذه البيضة التي تتركّب من الوف والوف من الدقائق الجامدة التي لم تتّفق على العمل ولا يُدرك واحد منها ما يصنع نراها منذ الوف من السنين تأتلف وتنتظم وتتأدّب في ادوار مختلفة وتنتهي الى غايات معلومة دون ان تحلّ قطّ في عملها فكيف يقال انّ الصدفة هي الساعية بذلك ؟

وهذا النظام يشمل ليس فقط الانواع لكن كلّ فرد منها ايضاً وربّما بلغ عدد الحمل الواحد الوفاً من المواليد فانّ انثى السمكة المدعوّة بالشالح (hareng) تضع في دفعة واحدة الى ٣٥,٠٠٠ من البيض . وقد مرّ ان سمكة الحُفش تضع ما ينيف على المليون منهُ فبعد أيّام قليلة يبلغ عدد المواليد منها المليارات ولكل فرد ذات الخواصّ لتوليد غيره فأيّة صدفة يمكنها ان تتولّى تدبير ذلك كلّه ؟

بل اجعل هذه الصدفة بازاء مولود واحد فكيف يا ترى تركّب خلاياها الحيّة وكيف تودع في رحم الامّ جرثومة الحياة فما قولك بالالوف من المواليد . ثمّ يجب تركيب كل اعضاء هذه المواليد واجهزتها ومشاعرها من سمع ونظر وشمّ ولمس وذوق أفتستطيع الصدفة ان تقوم بكل ذلك . انظر يا رعاك الله الى أيّة درجة من الاوهام والاستحالات يبلغ الدهريّون الذين ينكرون وجود الخالق

وهنا يحسن بنا ان نذكر فكاهةً لاحد ائمة الملحدين فولتير الذي سمع يوماً بعض المتفلسفين ينكرون وجود الله فقال لهم متهكّماً : « صدقتم فخذوا اذن لكم كيساً من التراب ثمّ القوهُ في بحيرة وحرّكوهُ جيّداً وزمناً كافياً فلا بُدّ انكم تجدون ضمنهُ صوراً عجيبة كصور اعظم المصوّرين ونباتاً من اجمل النبات وحيوانات بديعة . . . جرّبوا . . . » فكّروا واجبين

لكن فلنعودن راجعين الى بيضة الدجاجة لأن اعتبار خواصّها اقرب الى الفهم من بيض السمك في الماء . اذا حضنت الدجاجة بيضتها تركّب من متحها اعضاء متعدّدة مختلفة البنية والشكل . فهنا ايدي وارجل وهناك معدة ورئاع وجلد واعصاب واجنحة ثم اصول الريش ثمّ عيون ومنقار قرنيّ وشديد ثمّ اظافير القدمين ولكل من هذه الاعضاء غاية مقرّرة . فان قيل : ما معنى هاتين العينين والفرخ في ظلمة بيضته . كان الجواب انّهُ اذا خرج من البيضة سوف يحتاج الى البصر . وان قيل : لأي سبب

هاتان القدمان وهذه الاجنحة . أجيب : لانه سوف يحتاج الى كل ذلك ليسعى في طلب رزقه . وان قيل : وما معنى هذه الحوصلة وهذه المعدة وهذا المنقار الصلب . فالجواب حاضر وهو انَّ الفرخ سوف يغتذي بالحبوب فيجب ان يلتقطها بمنقاره ثمَّ يهضمها في معدته . وقس عليه بقيَّة الاعضاء . فكأنها تتكوَّن على حسب رسم معلوم لغاية معلومة سوف تتمّ بعد مدَّة ما . فقل لي حفظك الله أتنسب الى الصدفة هذه الاعمال كلها وتركيب هذا البناء العجيب الذي يفوق بحكمة اجل القصور . وانت لا تنسب الى الصدفة إذلّ الاكواخ واحقرها ؟

ولا تقُل انَّ هذه الاعضاء قد تكوَّنت في اجداد الطائر لاجل احتياجها اليها فاورثتها من بعدها الى صغاره . فانَّ جواباً كهذا لا يفكُّ المشكل . لأن ما نقوله عن الوالد الجديدة يجوز قوله عن الاجداد الاوَّلين . فكيف امكنهم ان يدروا لنفوسهم ويسدُّوا عوزهم بانشاء تلك الاعضاء . ثمَّ كيف استطاعوا أن يورثوا نسلهم تلك القبوليَّة لوسائل الحياة وما الشواهد على انهم فطنوا لذلك . فكل هذه الاجوبة كما ترى اوهى من نسيج العنكبوت

وان قلت انَّ هذه القبوليَّة نشأت في الحيوان بتوالي الازمنة زدتَ الامر ارتباكاً ذ جمات في السلاسل الاوَّليَّة قبولاً لاصناف متباينة . فتجعل مثلاً للهادَّة استعداداً لأن تكون نوعاً من النباتات المتعدّدة او شكلاً من الحيوانات المختلفة فتُضحي على حدّ سواء اما دودة واما حشرة او زحافاً او من ذوات الاثدي . واذ لا يستطيع الجاحدون ان يثبتوا لنا كيف هذه البيضة المهيَّئة تحوَّلت الى هذا الطائر المعلوم فكيف يستطيعون ان يثبتوا انَّ مادَّته السابقة كانت معدَّة لقبول كل اصناف النبات وكل اصناف الحيوان

فترى انَّ جحدة اللاهوت مهما طلبوا لهم باباً للنجاة من المشاكل ضاقت امامهم المسالك وباؤوا بجهلهم وفشلهم واقرُّوا مرغومين بوجود الخالق تبارك اسمهُ الى ابد الدهور

محادثات فلسفيَّة في آداب الحريَّة

من خلفة المرحوم الاب انطون رباط اليسوعيّ

١ في تعريف الحريَّة

١ ما الحرية وما ادراك ما الحريَّة. درَّة تُشغف بحبّها الافراد والشعوب. وصبت اليها من كل فجّ قوى العقول والقلوب. بل عروس قد اشرأبّت نحوها الاعناق ورنت اليها النواظر. وعلقت بحسن مسحتها واطف سجيتها ناثرة الانشدة وناثرة الخواطر. فلا تكاد ترى جريدةً او مجلة او تقرأ كتاباً او تسمع خطاباً الّا وقد جعل المؤلف اسم الحريَّة عنوانهُ وغايتهُ. وبثَّ روحها والدفاع عن حقوقها بغيتهُ ومحجَّتهُ. فاذا طالعت مقالات معاصرينا ممن ادَّعوا العلم — ومن لم يدَّعِ العلم — سمعتهم ينادون على الملإ ببوق الحرية وكثيرون منهم ينكرون وجود الله والنفس البشرية فيبتون على غير اركان. ويثبتون بدون برهان. وان نقَّرت في تواريخ الغابرين وتذكرت ما شاهدتهُ بعينيك او شاهده ابواك رايت ان ما من احد اطلق العنان للاهواء وحلَّ قيود الفتن فرغب في القبض على زمام السلطة ايَّةً كانت الّا وقد تسربل بجلباب الدفاع عن الحرية وقال انهُ لها عبدٌ صادق السريرة مرادهُ توسيع نطاقها ونشر لوائها

فهذا لوتاروس « حرَّر باصلاحهِ العقل البشري من رقّ البابويَّة » — كما اطرقتنا بهِ نشرتهُ نشر الله عليها ستر رحمته — « واطلق ملايين من سجن العبوديَّة الجهليَّة » ولا يجهل اليوم الّا من اتبع سبل الجهل عمداً ان غايتهُ لم تكن الّا القاء نير العفَّة عن علاتقهِ والسير وراء عهارته. وهناك اهل الفوضى والخوان الثورات في اواخر الجيل السالف وفي مدار جيلنا قد اجتشدوا ناشرين راية العصيان يهيجون المرؤسين على رؤسائهم ويزعزعون كلَّ مبدأ ونظام ويطأون تحت الاقدام كلَّ حلال وحرام ويهدرون غدراً وظلماً دماء زكيَّة وهم ينادون باسم الحرية. بهِ يتلذَّذون ويتغزَّلون وعلى نفاتهِ لارواح العباد يسفكون. فما احلى الاسم والذّهُ وما اسوأ ما أُطلق عليهِ. وان كانت هذه اثمار الحرية فقبَّح الله شجرةً يُجنى منها كهذه الاشواك ووتاناً من غوائلها

وموبقاتها. لكنَّ والحمد لله بين الحرية وبين ما اراد بها قوم جهلة بعداً شاسعاً وبوناً واسعاً

فما الحرية وما حقيقتها وما المراد من اسمها ومسماها؟

ذلك سؤال اذا طرحتهُ على من انتمى الى ذراها من خطيب وكاتب تاججت الالسنة وجفَّت الاقلام او بالحري اندفع الخطباء في الكلام يلقون على قس وسحبان ذيل النسيان ويرى المداد على انامل الكتَّاب فأترك بجمل رنَّانة مبهرجة وتراكيب مزوَّقة اعانتهم على اقتنائها كتب المرادفات فخُيِّل للسامع والقارئ انهم فازوا بالاعلاق وتسلَّطوا على دوائر الافلاك واكتشفوا عالماً جديداً خفي على اباتهم فكانوا اهلاً لان يطبِّق صيتهم الآفاق

لكنك اذا عجمتَ عودهم وعصرت صفحاتهم لم تلقَ الَّا قصباً بالياً او كنت كالقابض على المياه الجارية

سارت مسلسلةً من بين اذرعهِ وعاد يضرب اخماساً لأسداس

ولا عجب مما يأتينا به متطفلو الانشاء والعلم فان الحرية كانت ولا تزال محكًّا قدح الجهابذة على صلبه زناد قرائحهم ونَصَباً صوَّب العلماء على كبده سهام براهينهم كلٌّ تبعاً لمبادئه واهوائه

على ان البحث في هذا الموضوع بحثٌ دقيقٌ بل من اوعر المباحث لارتباطه بالحقائق الفلسفيَّة واللاهوتيَّة والاجتماعيَّة فاذا جُرتَ عن سواء الطريق يمنةً او يسرة سقطت في الهوَّة فكانت النتائج نظريًّا وعمليًّا وخيمة عليك وعلى اهل جلدتك

لذا رأيتُ ايها القارئ اللبيب ان انظر رأيك في الحريَّة وحقيقتها واصحابها واعدائها وما أُطلق على اسمها مما دعاه معاصرونا « الحرِّيات الحديثة » على اني سأتحامى ما استطعتُ الالفاظ الغريبة والمعاني المستغلقة لكني لا بدَّ لي من ذكر بعض المبادئ المنطقيَّة حفظاً لصدق البراهين وكمال الجدال فاسألك الامعان في مقالي والاقالة لما يفرط من القياسات التي قد يعسر فهمها لاول نظرة على من لم يعتد المباحثات الفلسفيَّة وكل لبيب بالاشارة يفهم. فاذا ما نظرت فيها حصحص لك الحقّ وانكشفت الرغوة عن الصريح فكنتَ لطول أناتك شكوراً وصرتَ بحقيقة الحرية خبيراً

ومعاذ الله ان اركب الخيلاء وادّعي بالعصمة وقد رميتُ بسهم نقدي متين من الكتّاب لكني عوّلتُ على ان اتخذ لي اعلاماً وهُداة جلّ اهل المنطق واللاهوت كارسطاطاليس والملفان الملانكي توما الاكويني والمبرّز على اقرانه سوارس الشهير وامامنا الحبر الاعظم لاون الثالث عشر في رسائله الى العالم المتمدّن فاستنير بنورهم واقتفي آثارهم. اقول برانهُ بصدق النية عليّ وعلى حفظ القلم عن كل شطط معين

٢ في الحرّية البشرية

اذا سرّحنا الطرف فيما احاط بنا من الكائنات رايناها مختلفة في الجنس والنوع متفاوتة في الصفات من جامد لا حياة لهُ ونبات حيّ لاحسّ لهُ وحيوان ذي حياة وحسّ لا نطق لهُ وانسان زانهُ الله بمحاسن الطبيعة جمعاء حتى سمّاه الحكماء العالم الاصغر ووهبه بمنزلة عن غيره نطقاً مدركاً بصيراً مفكراً مميزاً لهُ به السلطان على الجماد والنبات والحيوان والملك القاهر يستخدم تلك المواليد بنتهى فكره وبراعة تدبيره. ويقودها ذليلة في سبيل معيشته واسباب هنائه

وان سألنا او سُئلنا ايٌّ من المنظورات حائز على الحرّية يستطيع انشاء الفعل او عدمهُ واختيار هذا او ذاك عفواً؟ كان ولا شكّ جواب كل ذي عقل سليم ان الانسان وحدهُ هذه صفاتهُ وذلك لانهُ وحدهُ حيوان ناطق. فنعم الجواب

لكن قوماً انكروا هذا المقال وعزوا الحرّية الى غير الانسان فوجب علينا سماع براهينهم قبل الحكم عليهم

ولا أدري أنسب احدٌ من العقلاء الحرّية الى الجوامد والنباتات حتى ولو رأى زهرة الشمس تدور مقابلة لاشعتها والنبت الذي يلقبه العامة «بالمستحية» ينقبض اذا مسّتهُ. فلا نرى اذن الى اثبات ما لم ينكر من فائدة

لكن البعض قالوا بحرّية الحيوان ولبناء مدّعاهم اعطوا الحيوان من كنوز عقلهم وذكائهم. ولا تامّ الصفات لا يختلف عن عقل الانسان الّا بالكم والكيف. ومنهم من ذهب الى ان عقل كذا من الحيوان اسمى درجةً وارفع منزلةً من عقل الانسان وبرهانهم على هذا ما نشاهده من نقد ان النمل تجمع في صيفها مؤونة شتائها

وبراعة النحل في هندسة منازلها وصدق خدمة الكلاب والخيل لاسيادها وبناء الطيور لاوكارها واختلابس الفار والثعلب وزقهما عند غفلة الناظرين الى غيره من الامثال

قالوا: هذه ادلّة تشهد على عقل صاحبها. فان كان الحيوان ذا عقل فهو حرّ للارتباط بين كلا الصفتين كما سنبيّنه في مدار كلامنا

على ان هذا منقوض من ابواب جنّة. وذلك اذا ما تبصّرنا في صفات العقل البشري وصفات الحيوانات العجم في اعمالها . فالانسان بنطقه وقواه النفسانيّة يسمو على الحيوان بامور تخصّ بالذكر اربعةً منها ألا وهي طلبُ العلم والسير وراء الصلاح وابتداع الفنون العقليّة والصنائع الشريفة والتحلّي بحلية الدين والعبادة

١ (صفات العقل البشري) اولًا : يصبو الانسان الى معرفة حقائق الامور وكلياتها لا يكتفي بما تراءى لهُ من ظواهرها كجرمها ولونها وصورتها ان لم يصل ما استطاع الى كنه ماهيّتها حتى اذا ما أتعب الجسم والفكر وقال مبتغاه وكشف القناع عن بعض الشرائع الطبيعيّة مثلًا او عن ارتباط البادئ الادبية والدينية بعضها ببعض سكر من نشوة خمرة عقليّة اللذّ طعماً واهنأ مشرباً من كل لذّة حسّية . لا يعرف سورة هذه اللذّة السامية الّا مَن ذاقها . قال ابن خلدون: « ان العلوم العقليّة كثيرة الفوائد بها يقف الانسان على تحقيق الحق في الكائنات ينتهي فكره ويقتنص المطالب المجهولة ويستخرج المباحث الشريفة » . وبهذه المعرفة يُكتَسب العلم الذي حدّده اهل المنطق معرفة الحقائق عن اسبابها . وقال عنهُ الحكماء انهُ حياة القلوب ومصباح الابصار

ثانياً : ان الانسان يطلب السعادة لا يرغب عنها في اعماله ولا يشتهي ما يشتبه الّا وصلةً اليها ومهما كرع من مناهل اللذّة والكرامة الفانية لا يشفى منهُ الغليل تراه مضطرب الفؤاد كما قال القديس اوغسطينوس بين الخيرات الارضيّة يرنو بحشاشته ويجامع لبّه الى الخير التام الذي لا نُقص فيه ولا حَصر والى السعادة الكاملة التي لا يخالطها همّ ولا غمّ ولا يُخاف فقدانها . فاذا وصل الى غايته القصوى سكن في السلام والصلاح سعيداً

ثالثاً : والانسان مُشغَف بحبّ كل مليح وجميل يطرب لطيب القول والإنشاد والسماع ويعجب لما حسُن من المناظر الطبيعيّة فيشوقه بهاؤها ويهيج قلبهُ جمالُ تلألُئها

ونظام شأنها واذ ذاك يُعمل الفكرة في ابداع الفنون العقلية واختراع الصنائع الآنقة الى تحسين احوالهِ . وقد اشتهر في هذه المبتدعات جيلنا هذا كما لا يجهل جاهل . على ان الانسان لا يزال صابياً يلتذُّ بالجميل المحصور ويتوق الى الجميل الحسن بالذات الذي لا عيب فيهِ ولا خلل — كما قال افلاطون في محاورته الملقَّبة بالمائدة — حتى اذا ما فاز بهِ علق بحبّه مدى الابد

رابعاً واخيرًا : ان الانسان دَين بالطبع يُجهد الفكرة في معرفة علَّة العلل واصل الموجودات وهو الله تبارك وتعالى فيؤدّي لخالقهِ فرض الاقرار بربوبيّتهِ وواجب الطاعة والعبادة شكرًا على الانه وطلباً لمعرفته . وتشبهاً بخالقه يتبع حسن الاداب ويزين نفسهُ ببرود الفضائل وجلباب الكمال

هذه بعض صفات العقل الانساني اللهمَّ ان لم ينقدْ لانواع الشهوات البهيمية ويلقي عن مفرقه تاج العقل فيصبح شبيهاً بها كما قال صاحب الزبور (٤٨ : ١٢) : « كان الانسان في كرامة فلم يفهم فماثل البهائم وتشبَّه بها » وقد ذكر قسماً من هذه الصفات الاربع الشيخ يحيى بن عدي في كتيبهِ عن تهذيب الاخلاق حيث قال : « هذه القوة الناطقة هي التي يتميز بها الانسان عن جميع الحيوان وهي التي يكون فيها الفكر والذكر والتمييز والعلم والتي بها شرُفَ وعظمت همّتهُ . بها يستحسن المحاسن ويستقبح القبائح . وبها يمكنه ان يهذب قوّتيهِ الباقيتين اعني الشهوانيَّة والغضبية ويضبطها ويكفّهما . وبها يفتكر في عواقب الامور فيبادر الى استدراكها من اوائلها . . . اما فضائل هذه القوة فاكتساب العلوم والآداب وكفُّ صاحبها عن الرذائل والفواحش وقهر القوّتين الاخريين وتهذيبهما وسياستهُ في معاشه ومكاسبهِ وفي مروّتهِ وجميلهِ وحثُّهُ على فعل الخير والتودُّد والرقّة وسلامة النية والحلم والحياء والنسك والعفة » . الى ان قال : « والانسان اذا لم يستعمل الفكر والتمييز في جميع اعماله كان الغالب عليهِ اخلاق البهائم وذلك لانهُ انما يتميز عنها بالفكر والتمييز فاذا لم يستعملها كان مشاركاً لها في عاداتها والشهوات مستولية عليهِ . . »

١ (صفات الحيوان الاعجم) فابن النمل والنحل والفار والثعالب وغيرها من هذه السجايا ان بينها وبين الانسان لَوْناً بعيدًا فهو يسمو الى المعالي وهي تنبُّ على الحضيض . هو يخترع ويبدع وهي تتبع خُطَّة واحدة منذ نشأتها لا تحيد عنها لا

... مع انه في مخيلتها من الصور الغريزية التي تمكنها من حفظ كونها . هو يفعل وهي تنفعل . هو يستحق على اعماله مدحاً او ذماً وهي لا ينسب اليها عاقل ثواباً او عقاباً . هو يصبو الى الحق والصلاح والفنون والدين وهي لا تنظر الّا الى طعام يهيج غريزتها فتلحق به

وقد اجاب الملفان الملانكي في خلاصته اللاهوتية (الجزء الاول من القسم الثاني في الفصل الثاني من المبحث الثالث عشر) على قول الاخصام قال : « ان الحيوان الاعجم انما يؤثر شيئاً على آخر لان شهوته محدودة اليه طبعاً تحرك اليه حالاً دون انتخاب كما ان النار ايضاً تتحرك صُعُداً لا سفلى دون انتخاب »

وقد انكر علينا ما قدمناهُ دروين في كتابه عن اصل الانسان واوضح انتقادهُ احد اصحابه متياس دوڤال (Mathias Duval) مدرّس الطبيعيات البشرية (Anthropologie) في كتابه عن مذهب دروين (الصفحة ٦٩) بمثل كلب جدَّ في اثر وعل فبلغ الى مفرق ثلاث طرق استشى ريحهُ واذ وجد انهُ لم يذهب في الاولى والثانية استنتج باستعمال القياس العقلي ان الوعل سار في الطريق الثالثة فهرول في طلبه . واستنتج المعلم دوڤال ان للكلب عقلاً

ولو لم اعرف حقَّ المعرفة ان هؤلاء العلماء يزدرون بالفلاسفة واللاهوتيين فلا يحطُّون بنظامهم الرفيع الى مطالعة كتب اهل الدين لقلتُ ان مدرس الطبيعيّات قد نقل حرفاً بحرف المشكل الثالث من المبحث الثالث عشر من الخلاصة اللاهوتية للقديس توما الاكويني قال الملفان الملانكي : « من الحكمة ان يُحسن الانسان انتخاب ما الى الغاية كما قال ارسطو في الخلقيات (الجزء السادس الباب ١٢) والحيوانات تتصف بالحكمة . وهذا ظاهر للحس ايضاً فان بعض الحيوانات كالنحل والعناكب والكلاب يُشاهد في افعالها ضروب عجيبة من الحكمة فان الكلب اذا جدَّ الخ . . (المثل السابق) فيظهر اذن ان الحيوانات العُجم تتصف بالانتخاب » . وعليه اجاب « المعلم الملانكي » بما فيه كفاية لذوي الابصار قال :

ان الحركة هي فعل المتحرَّك صادراً عن المحرِّك كما قال ارسطاطاليس في كتابه عن الطبيعيات (٣ : ١٦) ومن ثم قوة المحرك تظهر في المتحرك وعلى هذا فكل ما يتحرك من العقل يُشاهد فيه ترتيب العقل المحرِّك وان لم يكن عاقلاً فان السهم

يتوجه توًّا نحو الغرض بتحريك الرامي كما لو كان لهُ عقل يدبره . ومثل ذلك يشاهد في حركات الساعات وسائر ما يستنبطه الانسان بصناعته . ونسبة جميع الطبيعيات الى الصناعة الالهيَّة كنسبة جميع الصناعيات الى الصناعة البشريَّة . ولذلك فما يتحرك بالطبع يُشاهد فيهِ ترتيب كما يشاهد ايضاً في ما يتحرَّك بالصناعة . وانما يُشاهد في افعال الحيوانات العُجم بعض ضروب من الحكمة من حيث تميل طبعاً الى بعض اساليب حسنة الترتيب لكونها مرتَّبة من الصناعة العليا وبهذا المعنى توصف بعض الحيوانات بالفطنة والحكمة لا كأن لها عقلًا وانتخاباً . وهذا ظاهر من حيث انَّ جميع الحيوانات المتحدة بالجنس تفعل ما تفعلهُ على وتيرة واحدة »

ففي هاتين الكلمتين « على وتيرة واحدة » او « نوع واحد » قد سبق إمام اللاهوتيين فدحض سالفاً زعم دروين في التقدم والنجاح الحيواني فاقرأ ان شئت كتب معاصرينا في طبائع الحيوان واعماله وقابل كلامهم بما ذكرهُ ارسطو وپلينيوس الطبيعيّ في تواريخهما يتراءَ لك جليًّا ان الاجيال الطوال لم تَرُد الحيوان الاعجم معرفةً وعلماً بل وانظر في ما حفظتهُ لنا العاديَّات والرقوق المصريَّة التي عُمرت اربعة او خمسة آلاف سنة تجد ان اخلاق « النحل والعناكب والكلاب » هي هي في القرون الاولى كما نعرفها في ايامنا لم تتغير خطوةً عمَّا كانت ولم يبالغ في نموها الارث ولا اكتناز معارف السلف للخلف ولا افادتها شيئاً الظروف المفيدة للانسان وما ذاك الَّا لكونها مقيَّدة بالحسّ والغريزة على نمط واحد تبعاً لاحكامهِ عزَّ وجلَّ والانسان ذو عقل مميز وارادة متعددة ينظر في دواعي الامور وبواعثها ويتخب اختياراً ما كان فيهِ صلاحهُ وفلاحهُ

قلنا ان البعض — وهم اصحاب دروين — فضَّلوا عقل كثير من الحيوان على عقل الانسان واتونا بمثل بعض القبائل البعيدة عن الحضارة كالفويجينيين (Fuégiens) وادَّعوا ان ما لدى هؤلاء من الامور الدينية ليس الَّا احساساً يجزعون من جرَّانهِ لما لا يفقهونهُ وما هذا الجزع باسمى من جزع الحيوان لمرأى لم يكن في خلده

فهب ان زعمهم صادقٌ لكنَّ لنا مع ذلك في وجه الاخصام جواباً اخذناهُ عن زعيمهم نفسهِ فقد ذكر دروين في كتابهِ عن اصل الحيوان (الطبعة الافرنسيَّة الصفحة ٦٧) ان ثلاثة من هؤلاء الفويجينيين أُتي بهم الى البلاد الانكليزيَّة فلم

يخفى عليهم سنون قليلة الا وقد تمكنوا من معرفة اللغة الانكليزية ولم يكونوا احطّ منزلةً عن غيرهم من الملّاحين الانكليزيين في عقلهم وادراكهم وتمييزهم (كذا المؤلف). فمتى تمكّن اصحابنا من تدريس اللغة الانكليزية للحيوانات (العاقلة على زعمهم) وجعلوها اهلًا لأن تضاهي الملّاحين الانكليزيين عقلًا وادراكاً وتمييزاً حقّ لهم ان يذكروا مذهبهم وعلينا ان نأخذ قولهم بعين الاعتبار

على انّنا اذا سلمنا بالقول ان الحيوان الاعجم ذو عقل كعقل الانسان وجب ان نستنتج بقياس لا مردّ عليه انهُ ذو نفس روحيّة في جوهرها وذاتها يخلقها الله في كل فرد من افراد الحيوان وهي سرمديّة الدوام لا يطرأ عليها الفناء غايتها الحق والصلاح غير المتناهي تبارك اسمهُ كما يؤمن كل ذي عقل ودين من القراء الافاضل في ماهية النفس وصفاتها وغايتها لا ينكرهُ الّا من ضربت على صفحات قلبه اطناب الجهل والكفران واذ لا يسلّمون بالنتيجة فقد اخطأوا المقدّمة فليس الحيوان بعاقل

وهنا يجدر بنا ان نلاحظ امرًا لا طائل تحتهُ في ذاته لكنهُ قد يُغشي على بصيرة قوم وهو ان بعض السذّج يحسبون ان ما يقول الاسد للثعلب والغزال للحمامة في امثال لقمان او ما ذكره بعض الجهلاء عن المحاورات بين سليمان والوحوش امرٌ حقّ واقعي فيشبّون ويشيبون ولا يرشدون فتراهم يمزون اللغات والكلام للحيوان وهو عنها قاصر ولم ينسب الكتّاب الكلام لمن لا عقل لهُ الّا تفكهة للاذهان وترويحاً للخواطر يجعلون الامثال والاقوال المختلفة أحبولة لوعظة الناس ووسيلة لتقويض اركان الرذيلة وتعزيز اسباب الفضيلة. قال صاحب كليلة ودمنة:

« يجب على قارئ الامثال ان يلتمس جواهر معانيها ولا يظنّ ان نتيجتها انما هي الإخبار عن حيلة جيستين او محاورة سبع لثور. . . وانما القصد من وضعها على السنة البهائم غير الناطقة هو مسارعة . الشبّان الى قراءتها فتمثال بما فيها من العبر لان هذا هو الغرض بالنوادر من جبّل الحيوانات . . . فتكون الامثال رياضة لعقلهم اذ فيها يجدون ما يحتاج اليه من امر دينه ودنياه وآخرته وأولاه ويحضّه على حسن طاعته للملوك ويجتنبهُ ما تكون عاقبته خيرًا لهُ »

ومثلهُ قال بعضهم:

فكم حيكم على افواه طير وآداب وامثال تقولهْ
يراها الجاهل المأفونُ مزلًا وحبكها لعالمها فضيلهْ

ومما يُضحك الثكلى حكاية لطيفة تاريخية نقصّها على قارئنا الاديب تزهة

لباله . وهي ان احد العلماء المحققين في ايامنا ذهب الى ان للحمام عقلاً ذكيًا وكلاماً فصيحاً مفهوماً . وبرهاناً لمقاله حبس نفسهُ مدة اسابيع متتابعة على مقربة من بروج الحمام يصيخ سمعاً لقوقها ونغماتها عند خروجها ودخولها ويدونها على قرطاس تبعاً لقواعد الموسيقى وبعد الكدّ والجدّ توصل الى ثلاث او اربع نغمات من هذا التقويق تأوّلها بقوله انّ الحمام يشير بهِ الى الذهاب لجمع الطعام واظهار لذّتهِ بعد الحصول عليهِ . وقد اهدى العالَم المتمدّن نتائج بحثهِ شفهيًا بخواطر افكاره في عقل الطير ولغاته . أكم بهِ من عالم ناقد وفيلسوف نطاسي قريع دهره في تأويل لغة الطيور ! !

وقبل ختام مقالي عن الحيوان لا بدَّ لي من ذكر جمعية خيرية شاعت وانتشرت في كثير من البلدان المتمدّنة وانضمّ اليها قوم كرام افاضل غايتها الدفاع عن حياة الحيوانات — وربما قالوا عن حقوقها (كذا) — وردْع ذوي القساوة والشراسة عن إمساك قواها وتعذيبها بانواع العذاب . على ان غايةً كهذه لا تخلو من فائدتين احداهما حفظ الحيوانات المستأنفة لما في ذلك من المنافع الجمّة في سبيل المعيشة والاخرى وهي لدينا شريفة نرغب الى الآباء والمعلمين ان ينظروا اليها باعين الاعتبار وهي ان المرء يبقى على ما نشأ في حداثة سنهِ فاذا اعتاد الولد منذ صغره على التلذّذ بتعذيب غيره حيوانًا كان او طفلًا نمت في قلبهِ طباع سيئة وتمكنت فيهِ القساوة والفظاظة الوحشيّة فيجعل لذّتهُ في تعذيب رفقائهِ واخوانهِ ويشبُّ ويشيب وقلبهُ اصلب من الصخر الاصمّ لا يحنّ ولا يرفق

لذا نرى ان انتشار جمعيات كهذه حسن لكنّنا نشترط عليها شرطًا وهو ان تضرب عن ذكر « حقوق الحيوان » فحيث لا قوى عقليّة ولا ارادة حرّة فهناك لا حقوق ان لم نُرد اخراج الالفاظ عن حقيقة معانيها . فالرفق بالحيوان يعود علينا بالثروة ويردعنا عن اتباع المساوئ ليس الّا فهو فرض علينا نحو انفسنا لا نحو البهائم . قال داود النبي في المزمور الثامن : « ما الانسان حتى تذكرهُ وابن البشر حتى تفتقدهُ نقصتهُ عن الملائكة قليلًا وكللتهُ بالمجد والكرامة سلطتهُ على اعمال يديك واخضعت كل شيء تحت قدميهِ الغنم والبقر كلها وبهائم الصحراء ايضاً وطير السماء وسمك البحر السائر في سبل البحار . ايها الرب سيدنا ما اعظم اسمك في كل الارض »

والنتيجة ان الحيوان الاعجم ليس بعاقل فهو اذن ليس بمجرّ (له بقيّة)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثالث : في الاعلام النصرانية (تابع)

٤ الاعلام النصرانية الوصفيَّة والمعدول بها والمعرَّبة

هو الضرب الاخير من الاسماء التي تسمَّى بها بعض نصارى العرب في الجاهليَّة فمنها ما هو صفة محضة كصفات شائعة في زماننا مثل نجيب وانيس الَّا انها ادلُّ على احوال النصارى ومعتقداتهم . ومنها ما عُدل به عن منعوت نصراني او نُقل معناهُ الى العربيَّة . ولا نطرق هذا الباب الَّا بكل حذر لئلَّا ينسبنا القارئ الى المبالغة ولعلَّ غيرنا يتسع فيه

(امرؤ القيس) لا بدع انَّ بعض نصارى الجاهليَّة دُعوا بهذا الاسم ولعلَّ اقدمهم هو امرؤ القيس المعروف بالبدء الذي ذكر ابن الكلبي وابن خلدون (راجع الجزء الاوَّل ص ٧٧) انَّهُ اوَّل من تنصَّر من ملوك آل نصر في العراق . ومنهم امرؤ القيس الشاعر الكندي الذي اثبتنا نصرانيَّتهُ في مقالة سابقة ردًّا على حضرة الاب انستاس (المشرق (١٩٠٥) ٨ : ٩٩٨–١٠٠٦) . ولعلَّ سائلًا يسأل وما اصل هذا الاسم ؟ قد اجاب الكاتب المتفنِّن جرجي افندي زيدان في « كتاب العرب قبل الاسلام » (ص ١٦٦) انَّ هذا العلَم احد الاسماء « التي اقتبسها العرب من الامم المجاورة لهم كاليونان والسريان وقد حرَّفوها » (قال) : « فامرؤ القيس مثلًا نظنُّهُ تحريف ماركوس (مرقس) وربَّما تعمَّدوا تحريفهُ ليكون لهُ صيغة عربيَّة ... ويؤيد ذلك انَّ هذا الاسم (امرؤ القيس) لم يكن معروفًا عند العرب قبل النصرانيَّة او قبل مجاورتهم اليونان » . هذا رأي رصيفنا جرجي افندي ويا ليتهُ صحيح لكنَّهُ لا يقنعنا والمرجَّح

ما يقوله المستشرقون انَّ الاسم مركب من « امرؤ » و« قيس » اي رجل قيس او عابد قيس من معبودات العرب القديمة وقد بقي الاسم مع سقوط معناه الوثني . والله اعلم

(بَحِير او بُحيرا) على رأينا انَّ هذين الاسمين بمعنى واحد وانهما من السريانيَّة « حمنمُّا » ومعناهُ الرجل الحاذق والعالم والاغلب انهُ لقب . وقد عُرف بهذا الاسم بحيرا الراهب الذي اجتمع بمحمَّد صاحب الشريعة الاسلاميَّة وكان اسمهُ سرجيوس كما قلنا . وذكر في أُسد الغابة لابن الاثير (١ : ١٦٧) رجلاً آخر شاميًّا بهذا الاسم قدم على رسول المسلمين مع سبعة آخرين . وكذلك اسم بُحير كان شائعاً في الجاهليَّة ذكر في تاج العروس (٣ : ٢٩) اربعة من الصحابيين بهذا الاسم اشهرهم بُحير بن ابي ربيعة المسمَّى عبدالله وبُحير الانماري

(بِشر وبَشير) كلا الاسمين كان شائعاً في الجاهليَّة وكثر في القبائل التي مرَّ بيان نصرانيتها كبشر بن الحارث الصحابي وبشر بن المعلَّى سيِّد بني عبد القيس النصارى المعروف بجارود (الاشتقاق لابن دريد ١٨٦) وبشر بن ابي خازم الاسدي الشاعر . وبشير الكعبي احد بني الحارث بن كعب اصحاب نجران النصارى (أُسد الغابة ١ : ٢٩٣) . وعلى رأينا انَّ في هذا الاسم اشارةً الى اسم البشارة او انهُ استعير من الآراميَّة بهذا المعنى فاتخذه النصارى في الجاهليَّة كما يدعون اليوم باسم بشارة وبشير

(البَعيث) هو اسم بعض اهل الجاهليَّة النصارى اخصُّهم بعيث بن حُريث الحَنَفي وبعيث بن رزام التغلبي . واشهر منهما بعيث اليشكري الشاعر واسمهُ خداش بن بشير من بني يَشكر واسم امه ورده . قالوا انهُ دُعي بعيثاً لقولهِ :

تبعَّثَ بي ما تبعَّث بعدما أمرَّت قوايَ وانحنى عزيمي

وعندنا انَّ لهذا الاسم علاقةً مع البَعث اي المبعث من الموت كما دعا نصارى الغرب بهذا المعنى « Anastase » ونذكر انَّ الاب انستاس الكرملي التحقنا في الشرق بمقالة تحت امضاء «البعيث الخضري » وهو تعريب اسم حضرتهِ الكريم

(تَوبة) هو اسمٌ يُشعر بزهد النصارى تسمَّى بهِ في الجاهليَّة او في اوائل الاسلام تَوبة بن عمران الاسدي (ياقوت ٣ : ١٠٥) وتوبة الشَّاولي واسمهُ عبد الملك (فيه ١ : ٥٧٨) وتَوبة بن الحُمَير الخفاجي الشاعر (الاغاني ١٠ : ٦٧)

(ثابت) شاع هذا الاسم في اواخر عهد الجاهليَّة ولا سيما بين القبائل المتنصرة من تنوخ وعبد قيس وتميم وثعلبة وغيرها. ولعلَّهُ احد الاسماء المنقولة عن الاعلام النصرانيَّة الاجنبيَّة كمثل « Constans » اللاتينيَّة او « Firmus »

(جابر) ممَّا دُعي بهِ بعض النصارى في الجاهليَّة كالشاعر التغلبي جابر بن حُنَيّ (شعراء النصرانيَّة ص١٨٨) وجابر بن شمعون اسقف الحيرة في أيام النعمان بن المنذر (الاغاني ٢٦:٢) وهو من الاسماء المستعارة من اوصاف اللاهوت كجَبْر وجبَّار وجبرئيل كما مرَّ

(الحارث) احد الاعلام التي استحبَّها النصارى في الجاهليَّة فتسمَّى بهِ ملوكهم الغسَّانيُّون وكثيرون من اساقفتهم الذين وقَّعوا على اعمال المجامع بهذا الاسم منقولاً الى اللاتينيَّة (Aretas) ومن رؤساء قبائلهم كالحارث بن كعب الذي ذكرنا وصيَّتهُ الى ابنائهِ (ص ١٢٨) او كصاحب نجران المستشهد على عهد ذي نواس (ص ٦٠) واشتهر ايضاً الحارث بن عبَّاد شاعر بني بكر وسيِّدهم (شعراء النصرانيَّة ص ٢٧٠). والحارث بن حلِّزة اليشكري (شعراء النصرانية ص٤١٦) وابو الحارث الاسقف احد وفود اليمنيِّين على محمَّد في السنة ٩ للهجرة (الطبري). امَّا اصل هذا الاسم فليس بثابت. وقد زعم الكاتب الاديب جرجي افندي زيدان في كتابهِ العرب قبل الاسلام (ص١٦٦) انَّهُ معرَّب من اليونانيَّة (قال) « فالحارث يجوز ان يكون ترجمة جيورجيوس اليونانيَّة ومعناها العامل بالارض » . وفي قولهِ نظرٌ لأنَّ هذا الاسم سبق عهد النصرانيَّة وبهِ عُرف مارك من النبط

(حبيب) هو عند النصارى لقب للرسول يوحنَّا بن زبدى لانَّ السيِّد المسيح خصَّهُ بمحبَّتهِ بين تلاميذهِ (١ . وعلى ظنِّنا انَّ النصارى الذين سُمُّوا بهِ اشاروا الى ذاك الرسول. ومنهم من ذُكروا في جملة الصحابة (راجع أُسد الغابة لابن الاثير ١:٣٦٨—٣٧٥). ومن شهداء النصارى في مدينة الرها على عهد ديوقلطيانوس المسمَّى بحبيب استشهد مع گورياس وشامونا (BHO, p. 84) وعُرف بهِ شهيدان

---

١) وفي شرح المفسِّرين للقرآن بدعوتهُ « حبيباً النجَّار » وقالوا ان ما ورد في سورة يس « اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذَّبوهما فعزَّزنا بثالث » يراد بهم حبيب النجَّار (اي يوحنا الحبيب) ويعقوب وسمعان بطرس

آخران في صور وفي العراق في ايام سابور . وبينهم واحد نُسب اليه دير حبيب (ياقوت ٢ : ٦٥٣)

(حكيم) من المحتمل انَّ الذين دُعوا في الجاهليَّة باسم حكيم كحكيم بن حزام بن خويلد (اشتقاق ابن دريد ٥٨) وحكيم بن قبيصة بن ضرار الثعلبيّ (حماسة ابي تمّام ص ٧١٢ وحماسة البحتري ص ٦١) وحكيم بن جبلة العبدي من بني عبد القيس (أُسد الغابة ١ : ٣٩) وغيرهم انَّما أُشير باسمائهم الى سليمان الحكيم

(خالد) هو ايضاً احد الاسماء التي تشعر باعتقاد النصرانيَّة بالآخرة وخلودها فلا عجب ان يكون النصارى دعوا بهِ اولادهم في الجاهليَّة كخالد بن سنان العبسيّ النبيّ الذي كان يدعو قومهُ الى النصرانيَّة (راجع الصفحة ١٣٥) وخالد بن عمرو الشيبانيّ (حماسة البحتري ص ٣٦) وخالد بن حِقّ الشيبانيّ (سيرة الرسول ٤٦) . ومن المحتمل ايضاً انَّهم عرَّبوا ذاك من اعلام نصرانيَّة يونانيَّة (ἀίδιος) او رومانيَّة (Perennis, Perpetuus, f. Perpetua) . ومثل خالد تسميتهم بخالدة وخُلدة وخويلد وخليدة وخلّاد (اسد الغابة ١ : ١١٩—١٢٢ و ١٢٧)

(الخضر) هذا الاسم الذي اختلف فيهِ المسلمون ايَّ اختلاف فقالوا انَّهُ النبيّ الياس او النبيّ اليشاع او النبيّ ادريس او القديس جرجس وجعلوهُ من غلمان موسى في شرحهم على سورة الكهف لم نجد لهُ اثرًا بين اعلام الجاهليَّة . ولو كان قديماً لدُعي بهِ احد النصارى او اليهود قبل الاسلام وقد زعم البعض انهُ تعريب «Horus»

(الخليل) التسمية بهِ لم تسبق الاسلام . ولعلَّهم استعاروهُ من قول القرآن في سورة النساء (٤ : ١٢٤) : «واتَّخذ اللهُ ابرهيمَ خليلًا» فدعوا بهِ مشيرين الى ابراهيم ابي المؤمنين

(سَعْد وسَعيد وأَسْعَد) دُعي بهذه الاسماء بعض نصارى العرب في الجاهليَّة كسَعْد بن مالك ابي المرقّش الذي دفع ابنهُ الى احد نصارى الحيرة ليعلِّمهُ الخطّ (الاغاني ٥ : ١٩١) وسعد بن الضباب صاحب امرئ القيس (٨ : ٧١) وسعد الذي نُسب اليهِ دير سَعْد (ياقوت ٢ : ٦٦٩) وأَسعد بن زُرارة (أُسد الغابة ١ : ٧١) فلا يبعد انَّ النصارى اتَّخذوا هذه الاسماء معرَّبةً عن لغات الشعوب المجاورة كاسم الشهيد «Felix» مثلًا . والى هذا الباب يعود اسم سَعْدان وبهِ سُمّي «سَعْدان بن

عبد يسوع » المذكور في الاغاني (٢٠ : ١٢٨) في حروب قيس وتغلب

(سالم) نجد هذا الاسم لاحد اساقفة بلاد العرب الذي حضر المجمع الخلقيدوني ووقّع على اعماله في اليونانية « Σάλμας » (راجع الشرق المسيحي Lequien : *Oriens Christianus*, II, 866)

(صالح) هذا الاسم سبق الاسلام . ومؤرخو العرب يزعمون ان نبيًّا بهذا الاسم أُرسل الى قوم ثمود يدعوهم الى الله والى نبذ عبادة الاصنام واجترح الآيات تأييدًا لدعوته فأبى اكثرهم ان يرعووا عن غيّهم فضربهم ضربةً عظيمة واهلكهم الّا الذين آمنوا فتوجّه بهم الى مكة . وليس بالمستبعد انّ النبي المذكور احد دُعاة النصرانيّة الذين سبق لنا ذكرهم . وما يؤكده كتبة العرب (راجع سيرة الرسول لابن هشام ص ٢١ ed. Wüstenfeld,) انّ فيمون الذي دعا اهل نجران الى النصرانية صحبهُ في دعوته وزمهُ رجل لسمهُ صالح من عرب الشام وذكر في أُسد الغابة (٣ : ٩) مولًى لرسول المسلمين يُدعى صالحًا كان اصلهُ من نصارى الحبش . وكذلك ذكر ابن دريد في الاشتقاق (ص ٥٨) صالح بن عبدالله قال « قُتل بقديد وكان صالحًا دينًا » . فهذا الاسم على ما نرى مستعار من اعتقاد نصراني او هو معرَّب عن اسم اجنبيّ نحو " Justus " او " Innocens " او « Pius »

(صخر) احد اعلام الجاهليّة المستفيضة فهو بثانة كيفا (ܟܹܐܦܵܐ) السريانية و Petrus اللاتينية والصفا العربيّة وهو الاسم الذي سمّى به السيد المسيح هامة رسله اذ جعله كصفاة عليها تُبنى بيعتهُ . وليس لدينا برهان قاطع على انّ العرب ارادوا باسم صخر الاشارة الى القديس بطرس كما زعم جرجي افندي زيدان (في كتاب العرب قبل الاسلام ص ١٦١) حيث قال ان العرب ترجموا الاسماء اليونانية فتسمّوا بها وضرب مثلًا على ذلك اسم الحارث كما مرّ واسم " صخر " فقال اذ « ترجمة بطرس »

(مالك) نظنّ انّ هذا الاسم بين نصارى الجاهليّة اما معرَّب عن اليونانية واما مشير الى احد اولياء النصارى . والدليل على الاوّل ما رويناهُ سابقًا (ص ٨١) عن احد امراء العرب الوافدين على القديس سمعان العموديّ سمّاهُ الكاتب (Basilicus) اي ملكًا . والدليل على الثاني اسم رجلين من نسّاك النصارى اشتهرا باسم Malchus في ما بين النهرين والعراق (BHO, pp. 131-132)

(محمّد) مرّ في الفصول السابقة (ص ١٢٦ و١٤٨) انّ اسم محمّد من اعلام زمن الجاهليّة. وانّ النصارى عُرفوا به كمحمّد بن سفيان بن مجاشع احد اساقفة تميم وكذلك محمد بن حمران من نصارى مذحج ومحمد بن خزاعيّ من ذكوان ومحمد احد بني سليم (Sprenger I, 161). وهذا الاسم يشبه بمعناه عدّة اسماء يونانيّة لرجال اشتهروا في بلاد العرب اخصّهم اوتيميوس رسول العرب واودوكسيوس احد الشهداء الاوّلين فمن المحتمل ان يكون عُرّب عن بعضها

(منصور) نجد هـذا الاسم بين اعلام الجاهلية . منهم في بني اياد النصارى منصور بن يقدم بن افصى بن دعميّ بن اياد . ومن بني ربيعة منصور بن جَمْوَنة قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٨٠): « كان شريفاً بالشام سيّداً » . ومن قضاعة منصور ابن جُمهور من رجال كَلْب. واشتهر في دمشق ابن منصور في عهد بني اميّة وهو القديس العلّامة يوحنّا الدمشقي . وليس بالمستبعد ان يكون هذا الاسم معرّب من اسم يوناني مثل (Nicon, Nicolas) او لاتيني مثل (Vincent, Victor)

٥ الاعلام النصرانيّة الجغرافيّة

نضيف الى اعلام الاشخاص النصرانية الاعلام الجغرافية التي تدلُّ على معرفة العرب لزارات النصارى واكرامهم لها

(أورشَليم) عاصمة اليهود قبل المسيح اضحت بعده مدينة مقدّسة يكرمها النصارى ويتبرّكون بزيارتها. والعرب لم يدعوها بعد الاسلام بهذا الاسم وانّما جاءت على هذا اللفظ القديم في شعر الاعشى قال (معجم البلدان ١ : ٢٠٤ واللسان ٥ : ٩٦):

وطوّفتُ (١ في الآفاقِ عُمانَ فحِمْصَ فأورشَليمْ
اتيتُ النجاشيَّ في داره وارضَ القيطِ وارضَ العَجَمْ

وروووا: أورَيْلِم وأوراسَلَمْ. وذكروا حديثاً لعطاء. (اللسان ٥ : ٩٦): « أبشري أورَى شَأْلَم بَراكِبِ الحمار » قالوا يريد بيت المقدس. وهذا الحديث منقول عن نبوّة زكريّا في السيّد المسيح ودخوله الى اورشليم (متى ٢١ : ٥): « قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعاً راكباً على اتان وجحش ابن اتان »

---

١) ويروى: وقد طفتُ

(إيلياء) هو اسم آخر لبيت المقدس لكنهُ رومانيّ الاصل دعاهُ بهِ ادريانوس الملك بعد محاربتهِ لليهود في القرن الثاني للمسيح فخرب بقايا المدينة اليهودية وشيَّد هيكلاً للمشتري ودعى المدينة لذلك «Ælia Capitolina» وروى ياقوت انَّ معنى ايلياء بيت الله والصواب انَّها مشتقَّة من اسم اسرة القيصر ادريانس المدعوَّة ايليا. وانشد في معجم البلدان (١ : ٤٢٤) لبعض الاعراب يصف بعيرهُ وسيرهُ الحثيث في جهات فلسطين:

فلو انَّ طيرًا كُلِّفتْ مثلَ سيرهِ ... الى واسطٍ من إيليا لكَلَّتِ
سمَى بالمهارى من فلسطينَ بعد ما ... دنا الفيء من شمس النهار فولَّتِ
فا غاب ذاك اليومُ حتى اناخها ... بعَيْسان قد حلَّت عُراها وكمَّتِ

وكذلك دعاها الفرزدق بهذا الاسم فقال (ياقوت ١ : ٤٢٤):

وبيتانِ بيت الله نحنُ وُلاتهُ ... وقصرٌ بأعلى ايلياء مُشرَّفُ

(سَدُوم) مدينة ورد ذكرها في سفر التكوين عاقب الله اهلها لمآثمهم . وقد عرف العرب في الجاهليَّة امرها فقال عمرو بن درَّاك العبديّ (في التاج ٨ : ٣٣٥ واللسان ١٥ : ١٧٧):

واني وان قطعتُ حبالَ قيسٍ ... وخالفتُ المرونَ على تميمِ
لأعظمُ فجرةً من ابي رغالٍ ... وأجور في الحكومة من سَدُومِ (١

وقال اميَّة بن ابي الصلت (صحاح الجوهري ٢ : ٢٠٧):

كذلك قومُ لوطٍ حين أمسوا (٢ ... كمَصْنَف في سَدُومهمُ رميمِ

(سِينا) قال ياقوت (٣ : ٢٢٠) : « موضع بالشام يضاف اليهِ الطور فيقال طُور سينا وهو الجبل الذي كلَّم الله تعالى عليهِ موسى بن عمران عم وُنودي فيهِ ». وورد هذا الاسم في القرآن قال في سورة المؤمنين (٢٣ : ٢٠): « وشجرة تخرجُ من طور سيناء ». وربَّما دُعي بالطور دون اضافة كقولهِ (في سورة مريم ١٩ : ٥٣): « وناديناهُ (اي موسى) من جانب الطور الأيمن وقرَّبناهُ نجيًّا ». ومثلهُ قولهُ عن

---

١) يريد بابي رغال احد ملوك الطائف الذي دلَّ الحبشة على الكعبة يوم اتوا ليخربوها. ويروى : لاعظم صفقةً من شيخ مَهْو

٢) وروى ياقوت ٣ : ٥٩) : حين أضحوا

رؤيا موسى للعوسجة (سورة القصص ٢٨ : ٢٩) : « آنس من جانب الطور نارًا »

(صِهْيَون) احدى تلال القدس الشريف التي احتلّها الملك داود ويراد بها مجازًا مدينة القدس او احدى كنائسها . وقد ورد الاسم في شعر الاعشى قال يمدح يزيد وعبد المسيح ابني الديّان وقيل يمدح السيّد والعاقب اسقفَي نجران (ياقوت ٣ : ٤٣٨) :

ألا سيِّدَيْ نجرانَ لا يوصلنّكما بنجرانَ فيما ناجما واعتراكما
فان تفعلا خيرًا وترتديا به فانكما اهلٌ لذاك كلاكما
وان تكفيا نجران أمرَ عظيمةٍ فتبلّكما ما سادها ابواكما
وان احلبتْ صهباؤون يومًا عليكما فانّ رحا الحرب الدكوك رحاكما

(القُدْس والقُدُس ويقال بيت المَقدس) من اسماء مدينة القدس الشريف. قال مروان بن الحكم يتهدّد الفرزدق (الاغاني (٢١ : ١٩٧) :

قُل للفرزدقِ والسَّفاهةُ كاسمها ان كنتَ تاركَ ما ضمنْتَ فاجلِسِ
ودَعِ المدينةَ انّها مذمومةٌ واقصدْ لمكّةَ او لبيت المقدسِ

روى في التاج (٤ : ٢١٣) لشاعر يخاطب ناقتهُ :

لا نومَ حتى تحطي ارضَ القُدْسْ وتشربي من خيرِ ماء بقُدْسْ

وورد في شعر العجّاج (ص ٨٠ ed. Ahlwardt) :

ضراغمٌ تنفي بأخذ خمسِ عن باحة البطحاء كلَّ نجسِ
حتى تزول مَضَبّاتُ قُدْسِ

وقد مرَّ بنا (ص ١٩٨) انّهم كانوا يدعون بالمُقدّس الزائر لبيت المقدس ويتباركون بثوبه كما اشار الى ذلك امرؤ القيس في وصف كلاب تنهش الثور :

فادركْنَهُ يأخذنَ بالساقِ والنسا كما شبرَق الولدانُ ثوب المقدّسِ

(لهُ بقيّة)

الكنيسة والتمدن الروماني

بقلم الاب ا.د. اليسوعي

كلٌّ يعلم ان مدينتنا بيروت منذ نصف سنة قد غنيت بمدرستين جديدتين احيتا مفاخرها القديمة في تعليم الفقه اعني مكتب الفقه العثماني ومكتب الحقوق الفرنسوي فما كادا ان يفتحا ابوابهما للطلبة حتى توارد وا اليهما برغبة دلّت على انهما سدّا خللاً كبيراً في اقطارنا

وما لبث بعض أدباء المسلمين ان انشأوا مجلّة شهريّة دعوها مجلّة العلوم الاجتماعيّة صدر منها الى هذا التاريخ ستّة اعداد توفّرت فيها المباحث لبعض الاختصاصيين بينهم نصارى من ذوي الخبرة في الامور الاجتماعيّة لاسيما الحقوق كالافندية انطون بك شحيبر ونعمان بك حبيش وميخائيل عبد البستاني والشيخ اسكندر العازار قرأنا لهم فصولاً حسنة في الجرائم والحضانة ومذاهب الفقه الاربعة واحكام الزيادات والمصارف لا يسعنا الّا الثناء عليها

وهناك فصول أخرى تحتاج الى مزيد ايضاح وتحرير لبعض ما دخلها من المزاعم المبهمة او غير السديدة كمقالة الاشتراكيّة والاشتراكيين (ص ١٣٧) والمقالة الافتتاحيّة « ماذا يُعنى بالعلوم الاجتماعيّة » حيث سند الكاتب علم الاجتماع الى رجلين من الوضعيين والماديين اعني « هربرت سبنسر واوكست قومت » وبذلك اعلمنا من اي منهل عكر قد استقى معارفهُ الاجتماعيّة

على اننا في هذه العجالة لا نتعرّض لتينك المقالتين ونكتفي بانتقاد مقالة أخرى تاريخيّة بقلم « ب.ن » لا نستطيع السكوت عن مخامينها المجحفة بحقوق الكنيسة الكاثوليكيّة. وهي وان المقالة « الفقه الاسلامي والقانون الروماني » افتتحها صاحبها في العدد الثالث (ص ٧١–٧٦) وتبعها في العدد الخامس (١٢٩–١٣٤) واودع تلك الصفحات من الآراء الواهنة بل من الاراجيف الباطلة ما يدلّ على انهُ يخوض في مباحث لم يحسن معرفتها. فانّ بحثاً كهذا لا تستقصيه المجلّدات الضخمة فما قولك بالصفحات القليلة التي لم تكد تمسّ الموضوع وتتناولهُ من بعض مظاهره العامّة

وما خلطه هناك خلطاً بيّناً ثلاثة مسائل كان يجب التمييز بينها والتدقيق في جواهرها واعراضها واوابدها وشواردها ألا وهي :

اولاً : مقام الكنيسة بازاء القانون الروماني

وثانياً : موقف الكنيسة بازاء الشعوب البرابرة

وثالثاً : نسبة التمدّن العربي الاسلامي الى التمدّن الغربي النصراني

البحث الاوّل

مقام الكنيسة بازاء القانون الروماني

اوّل ما ائتلفت الكنيسة مع السلطة المدنيّة الرومانيّة انّما كان في عهد قسطنطين الملك بعد انتصاره على عدوّه مكسنطيوس كما رُوي ذلك سابقاً في المشرق (١٦ [١٩١٣]: ٤٠١–٤١٦) وقد بيّن هناك كاتب المقالة المحقّق انّ قسطنطين منذ تبوّأ اريكة الملك وانقاد الى احكام النصرانيّة حوّر كثيراً من شرائع الرومان ولطّفها بايعاز ارباب الكنيسة . من ذلك الشرائع التي سنّها محظّراً فيها عن استعباد الرجال الاحرار ومقرّراً ردّ الحرّيّة لمن استُعبدوا ظلماً وناهياً عن وسم العبيد في جباههم بالحديد المحمى ومانعاً الحكم عليهم بالصلب ومسوّلاً لاصحاب العبيد اطلاق الحرّيّة لعبيدهم خلافاً للشريعة الرومانيّة الجارية وقتئذٍ ومبطلاً سنّة المجالدة بين العبيد بالسيوف والمبارزات في الميدان تفكيهاً للشعوب

وقد عدّد الكاتب ايضاً هناك (ص ٤١٥) سنناً غيرها وضعها قسطنطين صيانةً لكرامة الزواج وفقاً لتعاليم الانجيل واحكاماً اخرى مشبعة حكمةً ومفعمة بالروح المسيحي . فما ابعد هذا عن قول « ب . ن » (ص ١٢٩) انّ القانون الروماني لم يتكيّف بالدين المسيحي . وقد ساء استشهادهُ بقول السيّد المسيح في لوقا (٦ : ٣٢–٣٦) حيث امر المسيح بمحبّة الاعداء والاحسان اليهم اذ لم يفصل بين سُنَن الفضل والكمال المدعوّ اليها المسيحيّون وبين السُّنَن الاجتماعيّة التي تجري عليها الدول النصرانيّة في سياسة رعاياها المبنيّة على الحقوق العدليّة

ومن خطإ الكاتب ب . ن انّهُ لم يفرق بين أُولئك الاساقفة العظام الممتازين ببرارتهم وعلومهم الذين دافعوا عن الحقوق الراهنة ولاسيما اعلاها قدراً اعني حرّيّة

الشهير كاثناسيوس وباسيليوس ويوحنا فم الذهب وبين الاساقفة المنتمين الى الشيعة الاريوسيَّة الذين كانوا يضحُّون بالحقوق الدينيَّة لاغراضهم الشخصيَّة مراعاةً لخاطر امبراطرة مستبدّين قصدوا تذليل الكنيسة واستعبادها لسلطتهم المدنيَّة فيلقبون نفوسهم كالقياصرة الوثنيين بالاحبار العظام (Pontifex Maximus). فما ابعد هؤلاء الاساقفة عن روح النصرانيَّة والاستشهادُ بهم لا يُجدي اعداء النصرانيَّة نفعاً

ولعلَّ الكاتب ب.ن يعترض علينا بقوله ان المفهوم بالقانون الروماني انما هو ذاك المجموع الذي يُدعى بالقوانين الجديدة والرسوم التي اصلحها يوستنيان الملك. وهذه قلَّما نجد فيها تأثيراً لتعاليم الاساقفة ونفوذ النصرانيَّة

الجواب على هذا الاعتراض انَّ «ب.ن» قد خُيِّل له انَّ المراد بنفوذ الدين المسيحي في القانون الروماني ان يُملي الاساقفة على الملوك الاصلاحات الواجبة على مقتضى تعليم الانجيل وهذا ما لم يخطر على بال احد وان ظهر تأثير هذه التعاليم في عدَّة شرائع رومانيَّة. وانما المفهوم بذلك سعي الكنيسة بتلطيف تلك الشرائع القظَّة الجارية عند الرومان الوثنيين وبنهضة الآداب العموميَّة وازالة ما في القانون من المعاملات الجائرة كما فعل قسطنطين بنفي المجالدات بين المصارعين وابطال الحكم على المجرمين بمبارزة الوحوش وغير ذلك ممَّا اشرنا اليه من تحرير العبيد ومعاملتهم كبشر واخوة بعد ان كانوا يُعتبرون كأدوات محضة ولا شيء (Pro nullo habetur) وتخويلهم حقوق الابوَّة والدين (١

وهذا البحث من اوسع الابحاث وادقّها ولذلك طلبنا من احد الاساتذة الاختصاصيين بان يكتب لنا في ذلك مقالة ويبيّن ما للكنيسة من الفضل في تأثيرها على الحقوق الرومانيَّة. وان شاء الله ننشرها قريباً

البحث الثاني

في موقف الكنيسة ازاء الشعوب البرابرة

انَّ ما قالهُ ب.ن عن موقف الكنيسة ازاء البرابرة يُشعر بنسبته اليها الفشل والضعف عن تأديب هؤلاء الشعوب وردّ غارتهم عن العالم الروماني

(١ اطلب: Accarias : *Précis de Droit Romain*, I, 99 seq. et P. F. Girard : *Manuel élémentaire de Droit Romain*, 5, ed., p. 99

لكنهُ قد فات الكاتب المذكور انَّ الكنيسة اوقفت ما امكنها تلك الامم الزاحفة على العالم الروماني. فكيف نسي ما اصطنعهُ بابا رومية القديس لاون الكبير لمَّا اوقف ذلك الجبَّار العاتي اعني اتيلا وكيف تصدَّى لهم اساقفة متمدّدون فخلَّصوا بسطوتهم المدن وسكانها من غارات اولئك البرابرة ثمَّ كيف تمكَّن ارباب الكنيسة من تنصيرهم كما فعل القديس راميجيوس بملك الفرنج كلوفيس

ولا يقولنَّ انَّ اولئك البرابرة لم تحسُن نصرانيَّتهم بل كان دينهم سطحيًّا

كلَّا فانَّا ننظر بين هؤلاء المتنصِّرين رجالًا لا يُحصى عددهم شرَّفوا الدين والوطن بفضائلهم واعمالهم الخطيرة. ولكن هَبْ انهُ بقي بينهم آثار وثنيَّة وخرافات أفلا يعلم المعترض انَّ التنصُّر على كمال تأثيرهُ لا يتمّ بزمن قليل ربَّما يدخل الدين المسيحي في القلوب ويوَّلها لممارسة اعمال البرّ والصلاح . او لسنا نرى حتى الآن بين الشعوب المتمدّنة آثارًا من الخرافات رغمًا عن غيرة ارباب الكنيسة. أو نسي « ب.ن » ما يصفهُ لنا المسلمون في كتبهم عن خرافات قومهم ؟

ثمَّ يجب على الكاتب ان يعلم انَّ البدع المضادَّة للكنيسة قامت في وجه رسلها فاجتذبت كثيرًا من أمم اولئك البرابرة اليها لا سيما البدعة الاريوسيَّة التي استولت على بلاد عديدة وطوائف شتى كالقوط والڤيسيقوط والڤندال في اسبانية وايطالية وشمالي افريقية. فلا عجب ان لم تستطع الكنيسة ان تُنفذ فيها الروح المسيحي الَّا بعد كسر شوكة الاريوسيَّة. امَّا سقوط العالم الروماني فسببهُ تحامل كلّ تلك الامم عليه من جهات شتى فأنهت قواهُ وافرغت خزائنهُ. فلا تثريب على الكنيسة بسقوطه

البحث الثالث

التمدُّن الاسلامي والتمدُّن الغربي

ليس اضعف من زعم الكاتب ب.ن (ص ١٣٠) من « انَّ القبائل المتبرّة بقيت غارقة في عاداتها الوثنيَّة الاولى ... الى ان اختلط الغرب بالشرق واقتبس الاوَّل من الثاني مدنيَّة العلوم والقوانين في العراق والاندلس اوَّلًا وسوريًّا ومصر ثانيًا وآخرًا » لانهُ من المعلوم انَّ العرب لمَّا هجموا على الشرق الروماني وممالك بوزنطية كانوا والتمدُّن على طرفي نقيض فامتزجوا بالشعوب النصرانيَّة حيثما حلُّوا واخذوا من

النصارى كافّة علومهم وفنونهم الجميلة فهذا فنّ البناء والهندسة تعلّموهُ من اليونان فاستعانوا بالروم لبناء جوامعهم كالجامع الاقصى في القدس وجامع بني امية وجامع المدينة وغيرها. وقد روى البلاذري في فتوح البلدان كيف اشرفت المدينة على الغرق في عهد عثمان فاتى بمهندسين من الروم لتصريف المياه

وما يقال عن الابنية هو اصحّ واوضح في العلوم العقليّة كالفلسفة والرياضيّات التي اخذها المسلمون عن نصارى الشام والعراق ومصر والاندلس كما ذكرهُ كتبة المسلمين نفسهم ورواهُ المشرق في ردّهِ على التير (راجع المقالة المنونة العلوم العربيّة وحريق مكتبة الاسكندريّة في المشرق ١٤ [١٩١١]: ٢٩٩ و٣٨٨). ولمّا ابتدأ اختلاط الشرق بالغرب كان الغرب حاصلًا على تمدّن عظيم تشهد عليهِ آثارهُ الباقية. فانّ اديرة الرهبان كانت معاهد للعلوم فهم الذين صانوا آثار الآداب الرومانيّة واليونانيّة بتعديد نسخها وهم الذين انشأوا تلك الجمعيّات الدينيّة التي شيّدت الكتائس القوطيّة الفخيمة. ولم يحتج الفلاسفة المدرسيّون الى العرب لنشر العلوم اليونانيّة بل كثيرًا ما ردّوا على مزاعم العرب كابن رشد والغزالي

وقد اخذنا العجب من كاتب مقالة العلوم الاجتماعيّة الذي استشهد بتاريخ سوريّة للمثلّث الرحمات السيد يوسف الدبس وخلط بين ما جاء هناك عن بعض اعمال يوستنيانس وبين ما رواهُ عن تنظيمهِ للشرائع الرومانيّة فانّ صاحب تاريخ سوريا المفضال لم يقل كلمةً في تحطئة تنظيم يوستنيانوس للشرائع الرومانيّة وانّما ذكر فقط بعض معايب حياتهِ فكيف استجاز «ب. ن» ان ينسب الى صاحب تاريخ سوريّة ما لم يَقُلهُ ؟

اما ما نقلهُ عن تاريخ موسهيم (ص ١٣١) الذي دعاهُ «رئيس مدرسة كولنجن الكليّة الامريكانيّة» (كذا!!) فانّهُ لا يجديهِ فتيلًا لانّ الكل يعرفون انّ هذا الكاتب من متعصّبي البروتستانت على الكنيسة الكاثوليكيّة والناكرين لاعمالها الاثيرة. فان كان ب. ن لا يعرف غيرهُ عالمًا فالاجدر بهِ ان لا ينزل في ميدان ليس هو من فرسانهِ

هذه عجالة كتبناها على جناح السرعة وان اراد ب. ن اعتبناها بمقالات غيرها تميط النقاب عن كل شبهاتهِ

الطيران في لسان الشعر

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ ما بلغ اليهِ فنّ الطيران من الرقي العجيب في هذه الآونة الاخيرة مع حظوى الشرقيين بمعاينة نخبة من الطيَّارين قطعوا البلاد الواسعة ليشعوهم بالنظر الى طيور بشريَّة جاروا اطيار السماء في ركوب مملكة الهواء بل غلبوها بسرعتهم وارتفاعهم الى عنان السحاب قد انطق بالثناء ألسنة العموم على بسالة هؤلاء الطيَّارين وجرأتهم ورباطة جأشهم

فما كان لشعراء بلادنا ان يسكتوا في مثل هذا المقام وكأنَّ الشعر تدفَّق من قرائحهم فأنطق السنتهم بدُرر الكلام وحلَّوا جيد الآداب بعقدٍ يزري بالجمان

وقد اطَّلعنا على بعض هذه القصائد التي أجاد ناظموها في وصف ذاك الفنّ الجميل وتفنَّنوا في بيان تلك المراكب الهوائيَّة واطرأوا همَّة راكبيها وثبات جنانهم وتصرُّفهم في ضبط عنان طيَّاراتهم وتوجيهها وفقاً لرغائبهم أنَّى قصدوا وكيفما تقلَّبوا فرأينا ان نقتطف شيئاً من اقوالهم وبها يارح انَّ الشاعر العربي يمكنهُ ان يجاري الشاعر الغربي في لطف شعاره وابتكار معانيهِ وانسجام عباراتهِ وعذوبة نظمهِ

ولعلَّ اوَّل من شحذ غرب قريحتهِ في ذلك إمام شعراء مصر سعادة احمد شوقي بك فنظم قصيدةً عامرة الابيات عنوَنها « بآية العصر في سماء مصر » وافتتحها بتحيَّة لفرنسة ناصرة الآداب ومنشطة الاختراعات العلمية فقال :

يا فرنسا ملكتِ اسبابَ السماء وملكتِ مقاليدَ الجواء
غُلب النَّسرُ على دولتهِ وتنحَّى لكِ عن عرش الهواء
وأتتكِ الريحُ عفْي آمناً لكِ يا بلقيسُ من اوفى الإماء
رُوِّضتْ بعد جماحٍ وجرَتْ طَوْعَ سلطانَيْن علمٍ وذكاء

ومنها في شهامة الطيَّارين ابناء فرنسة :

بُسلاء الإنسِ والجنّ فدىً لفريقٍ من بنيكِ البُسلاء
ضاقت الارضُ بهم فاتَّخذوا في السماوات قبورَ الشهداء

فتية يعبرون جبران النهى سُرّاة الجو في اوج العلاء
حوّماً فوق جبال لم تكن للرياح الموج يوماً بوطاء
يركبون الشهب والسحب الى رفعة الذكر وعلياء الثناء

وقد احسن في وصف الطيّارة وادواتها فقال :

مركبٌ لو سافَ الدهرُ بهِ كان احدى معجزات القدماء
نصفهُ طيرٌ ونصفٌ بشرٌ يا لها احدى اعاجيب القضاء
رائعٌ مرتفعاً او واقفاً أنفُسَ الشحمان قبل الجباء
مُبرجٌ في كل حين ملجمٌ كاملُ العدّة مرموقُ الرّواء
ملأ الجوَّ فعالاً وغدا عجَبَ الغربان فيهِ والحداء
وترى السحبَ بهِ راعدةً من حديدٍ جمعت لا من رواء
حملَ الفولاذُ ريشاً وجرى في عنانَين لهُ نارٍ وماء
وجناحٍ غير ذي قادمةٍ كجناحِ النحل مصقولِ سواء
وذُنابى كلُّ ريحٍ مسّها مسّهُ صاعقةٌ من كهرباء
يتراءى كوكباً ذا ذنبٍ فاذا جدَّ فسهماً ذا مضاء
واذا جاز الثريّا للثرى جرَّ كالطاووس ذيل الخُيلاء
يملأُ الآفاقَ صوتاً وصدًى كزئيرِ الجنّ في الارض العَراء
ارسلَتْهُ الارضُ عنها خبَراً طنَّ في آذان سكّان السماء

وختم ذلك بابيات حضّ فيها مواطنيهِ على طلب المفاخر والامور الشريفة فجعل مسك ختامهِ قولهُ :

واطلبوا المجد على الارض فانْ هي ضاقت فاطلبوهُ في السماء

وقد لقي كلام شوقي بك صدىً في قلب احد مشايخ القدس فنظم في ذات الموضوع تحت عنوان « احدى عجائب العصر » فقال الشيخ عليّ الزعاوي يصف طيران «مارك بونيه» لمّا قدم الى القدس الشريف في سلخ كانون الاوّل الماضي فقال :

طارَ في الجوّ فاستثار العقولا وانتهى للسماء الّا قليلا
طار حتى تراهُ للشمس طيفاً او تراهُ لطيفها إكليلا
طار كالنسر اي ورودًا وريدًا ثم رام الفضاء ميلًا فميلا
وصلَ الشام من بلاد فرنسا في ثلاث فهلّلوا خليلا
مرَّ كالبرق بالفرات فبينا أن تلفّتَّ كان أمَّ النيلا
ظنَّ قومٌ ان السماوات غضبى فاستشاطت وهوّلت ضويلا
ثمَّ قالوا هذا سليمانُ قد عا دَ وعادت آياتُ إسرائيلا

ذلك العلمُ لا سليمانَ كم للسلم فيه من معجزاتٍ أُولى
ليس في العلم مستحيلٌ ولا صحَّ لقومٍ ان يحصروا التفضيلا

ثمَّ استطرد الى بيان فضل العلم وما اجداهُ للبشر من الفوائد الجمَّة الى ان قال مخاطباً بونيه :

إيه بونيهُ كم علوتَ جبالاً في الفيافي وكم هبطتَ سهولا
وعبرتَ صاد منها ام رياحاً وشمالاً غالبتَها أم قبولا
انما انت يافعٌ كيف أصبحتَ كبيراً وكيف صرتَ جليلا
قمتَ بالجدِّ والجهاد فجالستَ ملوك الزمان قيلاً فقيلا (كذا)
طرتَ في الجوِّ تبتني لفرنسا فوق هام الافلاك منك مقيلا
هكذا هكذا الشعوبُ فان طا لت علاءً فحقُّها ان تطولا

وختم بدعوته للشرق كي يفيق من سنته وينهض من غفلته فاحسن بقوله :

إيه يا شرقُ كم تنام تريد م المجدَ عفواً وأن تنال السولا
دونك المجد في السماء فان طر متَ حريٌّ ان تُدرك المأمولا
انتَ تلهو بالاختلاف ويلهو غيرك اليوم بالملاء بديلا
كيف تعلو ولا تريد انحاداً كيف ترقى وانت لامٌ تحولا
كنْ قوم لهم سبيلٌ الى المجد فاذا صمتَ حتى نقولا
قد عذرناك بالخطوب فهل انتَ مريدٌ الى المعالي وصولا ؟

ولم يتأخر شعراؤنا البيروتيُّون في هذا السباق المجيد بل استوروا زناد قرائحهم فتلهَّبت ناراً. وممن فازوا بقصبة السبق في هذه الحلبة حضرة استاذ الخطابة في كليتنا حضرة الخوري بطرس البستاني فكأنَّ طائر فكره قد رافق في مملكة الهواء اولئك الطيَّارين فوصفهم اصدق وصف فقال :

خاضوا الفضاء وسابقوا العُقبانا وجرَوْا على متن الهوا فرسانا
والجوّ قدَّام ازمَّة امره مذ سخَّرته لجيلهم ميدانا
راضوا الرياح جواسحاً حتى غدت وقد استطوها كالذلول لياما
قد درَّهم اذا ما اطلقوا للمركبات السابحات عنانا
فتخالُها عند الهبوط صواعقاً واذا تعالت خلتَها سيزانا
تحكي الطيورَ بشكلها لكنَّها أضحى جناحاً بل اشدُّ جنانا
لو حاول النسرُ الفتيُّ لحاقها لارتدَّ خوَّارَ القوى عيَّانا
انى لستَ تحسبها وقد طاروا بها كالبرق آناً والسهام أوانا

الى ان قال يصف قدرين في شوطهِ فوق بيروت :

شاهدتُ قدرين الجريءَ محلقاً في الجوّ يخترق الفضا جذلانا

من فوق مركبةٍ يحرّكها كما يهوى فتخفق تحتهُ خفقانا
وسمعتُ يوم تحرّكت لرحيلها من صدرها ما يبعثُ الاشجانا
زفرات مصدورٍ تصدّعهُ النوى فتشبُّ في اضلاعهِ نيرانا
حتى اذا حميت مراجلها جرت كالليث يزأر في الفلا غضبانا
قالوا بساطُ الريح وهمٌ كاذبٌ فاذا بهم قد شاهدوهُ عيانا

ومنها خطاب الى النسر ملك الفضاء :

احفض جناحك أيها النسرُ الذي ملك الهواء ببأسهِ ازمانا
قد كنتَ ترعم انّ ملكك خالدٌ لا يحرز الانسانُ فيهِ مكانا
فاذا بهِ والمركباتُ سوابحٌ في الجوّ تحمل فوقها الركبانا
لا تأخذنّك حيرةٌ مما جرى فالله خوّل آدمَ السلطانا

وختم مهنئاً لفرنسة امّ العلوم والآداب :

سقياً لصدرك يا فرنسا انهُ يسقي الصدور من العلوم لبانا
اي اكتشافٍ لم تكوني امّهُ او لم تريدي صُنعهُ إتقانا

وكأنّ احد تلامذة حضرته وهو الفتى النجيب سليم البستاني نال من انفاس استاذهِ فاراد ان يحاذيهُ في سماء الخيال فقال من قصيدةٍ :

يا فاتحاً دُول الفضاء بخيلهِ اسحب على هام النجوم ذيولا
ما بالُ طرْفك لا يزالُ مسعّداً أتُراك تبغي في السماء حلولا
فلقد ملكتَ من الهواء عنانهُ وبلغتَ شأواً جاوز الأمولا

الى ان اشاد بذكر جهابذة فرنسة فقال :

أكرم بفرسان الفرنسيس الأُلى بانوا مقاماً في العلاء أثيلا
لم يرجعوا عن عزمهم حتى شفوا من منهل الفتح المبين غليلا
لم يأنسوا عن قصدهم حتى غدت لهمُ متونُ السافياتِ سهولا
امّوا السماء فاعلنوا اسرارها مذ سيّروا فوق السحاب خيولا
زحفوا على ابراجها وقد انتضوا اسياف عزمٍ لا تخابُ فلولا
وتجاولوا في جوّها وتسابقوا حتى طووا الآفاق ميلاً ميلا
سبّارةٌ جابوا العوالم فوقها وأتوا سماء بلادنا والنيلا

وقد جاراهم رشيد بك نخله فقال في طيران قدرين :

ايه قدرينُ على عرش الهوا ملكٌ يزهو بإعجاب الانامْ
بل ملاكٌ ذو جناحين كما نُشرا ظلّاً لما شاء ورامْ
بخوافٍ تتلاشى زفرةً ابن منها زفراتُ المستهامْ
ومنا شوقاً لسكّان السما وامتلا قلباً بنازات الغرامْ

مجرى يستودعُ الارضَ الوفى وعلا يستحسنُ النجم المقامْ
وهوى من بعد ان دار على هام صنّين وهاتيك الأكامْ
يتهادى هابطًا ما بيننا بين تصفيقٍ وعُجْبٍ واحترامْ

وكأنّهُ رأى في إقدام قدرين صورة تتهيّأ الشرق فصرخ :

لا تُطل قدرينُ في الشرق المقامْ فبنوهُ ابدَ الدهر نيامْ
انت تسمو طائرًا في افقهم وهمُ في ارضهم تحت الرغامْ
اخذ الدهرُ عليهم عهدهُ لا حراكٌ لا نهوضٌ لا قيامْ
يا اميرَ الأفق لا تزرِ بنا فازدراء الحيّ يا لَيت حَرامْ

وقد طرب احد الشعراء المهاجرين الى الولايات المتّحدة ايليا افندي ضاهر ابي ماضي لدى علمهِ بنيّة قدرين ان يطير الى الشرق فنظم قصيدةً رنّانة وصف فيها الاختراعات العصريّة وفوز الانسان برغائبهِ من عناصر الكون مع تقلّب اهوائهِ فقال :

كلُّ ما في الوجود للمرء عبدٌ وهو عبدُ الشهوات والاهواء
كائنٌ كلُّ كائنٍ صار فيهِ فهو حلوٌ مرٌّ ودانٍ ناءِ
وهو طورًا يكون نصفَ اله وهو طورًا ادنى من الحمقاء
عجبًا كيف طاءَ الطيرُ والما ء وما كان غيرَ طينٍ وماء
فهو في الماء سابحٌ وعلى التبـــراء ماشٍ وطائرٌ في الفضاء
تَخِذَ الجوَّ ملعبًا ثمَّ امسى راكضًا في الهواء ركضَ الهواء
لا تُراعي يا شُهبُ منّا فارًّا ما حملنا اليك غير الولاء
قد كرضنا القمامَ في الارض لمّا قيل انَّ انسا مقرُّ الماء

ومنها يخاطب قدرين وينوّه بضحايا الطيران :

ايهِ قدرينُ انتَ اغربُ مرئيٍّ لدينا وانت اغربُ راءِ
طِرْ الى الشرق ثمّت انقل الينا عن بني الشرق اطيبَ الانباء
قُلْ لهم ما صعدتُ في الجوّ عفوًا بل على سُلّمٍ من الاشلاء
علّهم ينهضون بعد التواني علّهم يرغبون في العلياء
قصّرت عنك طارقاتُ الليالي ووعى افقُ انفس الشهداء
وسلامٌ عليك ما طار منطا دُ سلام من شاعر ذي وفاء

على انَّ هذه القصائد نُظمت كلّها في الطيّارين الفرنسويين ومـا لبث ان خيم فوق بيروت الطيّاران العثمانيان فتحي بك وصادق بك منبئين بمباراة الشرق للغرب فقام الشعراء يثنون على بسالتهما وحذقهما فمن ذلك ما انشدهُ الشيخ مصطفى افندي الغلاييني احتفاء بالقادمَين تحت عنوان « تحيّة بيروت لفتحي وصادق » :

حيثما فوق الرؤوس فأشرقت منّا الوجوهُ وازهرت انوارُها
وفتحتَ يا «فتحي» القلوبَ بزورة احيا موات رجائنا تذكارُها
وترعتَ منها اليأس وهو بليّةٌ شنعاء عمّت قومنا اضرارُها
وزرعتَ آمالاً سنجني وردها ما طار في جوّ العُلى طيّارُها
يا «صادق» العزماتِ هاك تحيّةً عبقتْ فأخجلت الشذا ازهارُها
وجرتْ فسابق السيل من جريانها البشرُ يوم قدمتا ـ زارُها
ان طرقا المجد في طيّارةٍ فحوى القلوبَ الطلعولتِ خبارُها
او تنزلا في ارض بيروت العلى فقلوبنا لطيورنا اوكارُها

وقال الاديب ميشال افندي برباري تخميساً :

طربَ الشرقُ واستنار الهلالُ عندما لاح في السما الزلالُ
يا ابن عثمان والفضا بجمالُ سرتَ فيه بشورةٍ تختالُ
سابحاً في العوالم الجوّيه
قد انبتَ الربوعَ والشرقُ نامْ ومن الجهل تعتريه انتقامْ
يا بني الشرق اين تلك العزامْ يا بني الشرق خفّةٌ تلطامْ
واستردّوا ايّامنا الاوّليّه
ايه فتحي وحظّنا بك باهْ ونجومُ السعود منك طوالعْ
هل رأيت الجموع وهي خواشعْ ونظرت العيونَ وهي دوامع
عند ملقاك يا فتى تركيه !
قد نظرناك في الفضاء هماما قهر الريحَ واستذلّ الغماما
ناشراً فوق هامنا اعلاما تحمل الشرقَ والهوى والهياما
لجميع الاقوام في سوريه
يا رسولَ السلام طرْ وتعالا واخترقْ كالنسور هذي الجبالا
انّ روح الاوطان فيك تلالا فحنينا ونؤنسنا إجلالا
لتجلّي العلوم والوطنيّه
صادقَ العزم قد سبقتَ الطيورا وملأت الجوّ الفسيحَ هديرا
وغمرتَ القلوبَ فيك سرورا انّ ذكراك سوف تحيا دهورا
يا بشير الاخاء والحرّيه

فترى من مطاوي هذه المنظومات إعجاب منشديها بالمخترعات العصريّة ولاسيما بفنّ الطيران الذي كاد يرفع الانسان فوق طوره وذلّل امامهُ السُحب حتى نطح بهامتهِ عنان السماء فرفعوا شأن العلوم وعظّموا اصحابها الذين فكّوا طلاسم الطبيعة المختومة . ثمّ استرسلوا بمديح اولئك الابطال الذين قرّبوا منّا البعيد وسبروا

عقولنا ببسالتهم ورباطة جأشهم فأثنوا على فرنسة وتركيَّة اللَّتين انشأتا مثل هؤلاء الشجعان

وقد استحسنَّا كل هذه المعاني البليغة وشكرنا شعراءنا الذين خلَّدوا بشعرهم ذكر الطيَّارين وحاسن فنِّهم . على أنَّنا كنَّا وددنا لو استطردوا من ذكر الطيران الهيولي الى طيران النفس فوق السُّحب المنظورة وترقيها الى عالم اسمى واشرف من عالمنا سواء أطلقت طائر فكرها الى ما وراء الطبيعة لاحراز العلوم العقليَّة المجرَّدة من الحواس او ارتفعت الى خالق الكون فارتاحت الى مناجاته والحظوة برؤية كمالاته على مثال ما كان يتمنَّاهُ الملك والنبيّ داود قائلًا (مز ٥٤ : ٧) : « من لي بجناح كالحمامة فأطير واستريح »

فلعمري ان صعود النفس فوق المخلوقات يجدي الانسان من السرور والعظمة ما لا ينيله ركوب المناطيد والطيَّارات فانهُ اذا قرُب من عرش خالقه استعظم الكوائن العلويَّة واستصغر الارض ولذاتها وكل محتوياتها فيهتف مع القديس اغناطيوس دي لويلا : كم تذلُّ لديَّ الارض اذا شخصتُ الى السماء

فالشاعر اذا ترقَّى الى ذاك عالم الارواح وجد لنظمه مجالًا فسيحًا فيصف حينًا رب العلاء الذي قال عنهُ داود (مز ١٧ : ١٠—١٥) « انَّهُ طأطأ السماوات ونزل والضبابُ تحت قدميه . وركبَ على كروبٍ وطار وخطف على اجنحة الرياح . جعل الظلمة حجابًا لهُ مظلَّةً حولهُ ظلامَ المياه ودَجنَ السُّحب » وحينًا يرى بقربهِ على متون الغمام الارواح القدسيَّة ساجدةً امام عرشهِ :

ملائكةٌ لا يفترون عبادةً كروبيُّهُم ركوعٌ وسُجَّدُ

ثم يتخيَّل في اصناف تلك الارواح النفس البشريَّة تكسر اغلالها الجسديَّة وتتشابه بالملائكة الله اذ تناجي ربَّها وتتردَّد معهُ بالصلاة والعبادة والازدراء بكافَّة الاعراض المحسوسة ريثما يقطع الموت تلك القيود التي تربطها بالارض فتتَّحد بخالقها الى الأبد

هذه خواطر نودّ لو يكسوها شعراؤنا ثوب نظمهم البديع فيظهروا بالمقابلة ما في طيران النفس من الفضل العظيم على طيران الاجساد

طلبتُ مجدًا على الارض فإذْ هي ضاقت طلبتُهُ في السماء

مطبوعات شرقية جديدة

O. Procksch : Die Voelker Altpalaestinas (Das Land der Bibel), ٢. I. n° 2, *Hinrichs* pp. 41, 1914

شعوب بلاد فلسطين القديمة

هذا كرّاس ثانٍ لمجموع يتولّى نشرهُ الدكتور هولوخر (D' Hoelocher) في تعريف البلاد التي جرت فيها وقائع الكتب المقدّسة كتبهُ المسيو بروكش لخدمة الجمعيّة الالمانيّة الفلسطينيّة. وقد جمع المؤلف في ضمنهِ مجمل ما اوقفتنا عليهِ الآثار القديمة عن شعوب فلسطين الاوّلين في الطور المعروف بطور الظرّان فيستقري سكّان تلك البلاد شعباً شعباً كالكنعانيين والحثّيين والعشوريين والعبرانيين (بمعناهُ الواسع) ثم الاسرائليين (بحصر المعنى) ويلحق بهم الشعوب المجاورة كالموابيين والعمّونيين فيروي ما يُعرَف عن كلٍّ منهم. ويرتأي المؤلف انَّ الساميين في فلسطين هاجروا اليها من الشمال (ص ١١) وانَّ الحثّيين الذين احتلّوها كانوا من بقايا دولة الرعاة (Hyksos) المنفيّين من مصر (ص ٢٠). ففائدة الكتاب ظاهرة ويا ليت صاحبهُ ألحق بها الفهارس تسهيلاً للوقوف على موادّه

الاب ب. جوون

Prof. Evaristo Carusi : Sui rapporti fra diritto romano e diritto musulmano. (Atti d. Soc. Ital. per il Progr. d. Scienze. Sienne, Sept. 1913), *Roma, Tipogr. Naz., G. Bertero e c.*

في العلاقات بين القانون الروماني والفقه الاسلامي

هذا الكرّاس كلهُ فوائد وكان بودّنا لو اتّسع بنا المجال لاستقراء مضامينهِ لينتفع منهُ كل قرّائنا ولاسيما طلبة الحقوق في بيروت. ونشير الى من يعرف اللغة الطليانيّة منهم ان يدرسهُ درساً محكماً فلعلّهم يتّخذونهُ كأحد لابحاثهم الحقوقيّة. اما مدارهُ فعلى الروابط الجامعة بين الفقه الروماني والفقه الاسلامي. فانَّ المؤلف يتأثر اعقاب كبار المستشرقين المحدثين كنولدسيهر (Goldziher) وسنوك هرغروني (Snouck Hurgronje) وجوينبول (Juynboll) وساخو (Sachau) وبيكر (Becker) ولمبرت (Lambert) احد اساتذة الفقه في مكتب الدروس الحقوقيّة في ليون الخ ويثبت انَّ مصدر الفقه الاسلامي انما هو القانون الروماني خلافاً لما

زعمهُ سواس باشا في كتابهِ (Etude sur la théorie du droit musulman, 2 vol., Paris, 1898-1902) ولزاعم رينان في كتابهِ عن اللغات الساميَّة (ص ٣٨٠ من طبعتهِ الثالثة) اللذين ادَّعيا بان الفقه الاسلامي ابن نفسهِ لم يأخذ عن غيرهِ (وهكذا زعم ايضاً المرحوم المعلم سعيد الشرتوني في مقالات نشرها في المقتطف)

امَّا ادلَّة مصنَّف الكتاب الذي نحن بصدده فرجعها الى برهانين لا يمكن نقضهما: الاوَّل برهان لمّي (a priori) اذ لا يقبل العقل انَّ العرب الذين اتوا من صحاري جزيرتهم وهم لا يعرفون شيئاً من العلوم قد استعاروا من الشعوب التي امتزجوا بها كل علومهم كالفلسفة والرياضيَّات والطبيعيَّات الَّا الفقه. وبديهيٌّ انَّ الفقه احد العلوم التي لا تثبت الَّا بعد زمن طويل بالتجربة والمعاملات فكيف يجوز القول بان المسلمين استوطنوا ما فتحوهُ من البلاد وفي يدهم قوانين فقهيَّة ثابتة جروا عليها لسياسة اهاليها على اختلاف مللهم ونحلهم فهذا مستحيل

والبرهان الثاني برهان انّي (a posteriori) بالمقابلة بين القانون الروماني والفقه الاسلامي فانَّ المشابهات بل المنقولات ظاهرة في كل صفحات الفقه الاسلامي وكل دقائقه لا سيما في الفقه الحنفي حتى في تقاسيم الفقه وفصولهِ وصورة ابحاثهِ. مثالهُ:

Non fungibiles	Res fungibiles	
قيمي	مثلي	
Quæ mensura consistunt	Quæ numero consistunt	Quæ pondere consistunt
مكيل	معدود	موزون

وقد عدَّد المسيو كاروزي الأمثلة في كتابهِ فبيَّن مستعارات الفقه الاسلاميّ عن الروماني في باب الوقف والبيع والشفعة والكتر وحقّ الله (droit public) وحقّ آدمي (droit privé) (ص ١٧ و ٢٠ و ٣١). هذا ولانَّ القانون الرومّاني امَّا عمومي وامَّا خصوصيّ كالبوزنطيّ مثلاً املك تسأل ايّ قانون اتَّبعهُ المسلمون. فيجيب الاستاذ كاروزي انَّ المسلمين اتَّبعوا القانون الروماني السرياني الذي كان مركزهُ في بيروت مدينة الفقه الروماني الشهيرة. فانَّ اليها كان مرجع الابحاث الفقهيَّة في انحاء الشرق ومنها اخذ ايضاً المسلمون فقههم. والمؤلف يؤيد كلامهُ بما سبق اليهِ المسيو كولينه

(Collinet) في سفره الجليل عن قانون يستنيان المنون « Etudes sur le droit de Justinien » والسير دي فرنشسشي (De Francisci) في كتابه عن مدارس بيروت الفقهية « Vita e Studi a Berito ». ومن هذا يتّضح ما كان لبيروت من المفاخر وما ينتظر طلبتنا المحدثين من الشرف اذا ما علموا ان يقتفوا معالم اسلافهم فنتمنّى ان يهدونا قريباً تآليف مفيدة كتآليف السير كاروزي الاب ل. ترقال

Alfredo de Carvalho : PREHISTORIA SUL-AMERICANA, *Recife*, 1910, pp. 244, 1 *carte et* 20 *gravures*.

العهد السابق للتاريخ في اميركة الجنوبية لألفرد دي كرفالبو

انّ صاحب هذا الكتاب احد المدقّقين في درس احوال اميركة الجنوبية وآثارها القديمة. وممّا كان خصّهُ بالجائه نقوش وتصاوير قديمة تُرى في جهات شتى من جنوبي اميركة. فبيّن انّ تلك الرسوم ليست كما ظنّ البعض كتابات ذات معانٍ معقولة كالكتابات الهيروغلوفيّة وانما هي نقوش بسيطة خالية من مدلولات فلا يؤخذ منها انّ قدماء الاميركيين كانوا يعرفون فنّ الكتابة وترجمة ما في عقولهم بالخطّ. لكنّ بعض كتبة البرازيل لم يقنعوا بادلّة السير دي كرفاليو فحاولوا تفنيدها في الجرائد المحلّية ولاسيما السير بريتو (S.Brito) وارمينيو دي ملّو (Arminio de Mello) فدفع ردُّهم السير كرفاليو الى تصنيف كتاب اوسع عزّز فيه اقاويلهُ السابقة واستقرى الآثار القديمة وبيّن برسومها انّهُ لا يمكن استخراج معانٍ منها وانّ الكتابة في جنوبي اميركة لم تُعرف لدى الوطنيين قبل دخول الاوربيين بينهم بعد اكتشاف كرستوف كولومب. وقد تصفّحنا هذا الكتاب بلذّة ورأينا بيّناته واضحة ثابتة مبنيّة على دلائل عقلية واثرية ولغوية تنفي مزاعم مناظريه يؤخذ منها انّ القبائل الاولى التي سكنت البرازيل منذ قرون عديدة كانت همجيّة في ادنى درجات الذلّ والتوحّش اخصُّها قبائل تابوياس (Tapuias) وارواكس (Aruaques) وتوبيس (Tupis) وكاريبياس (Caraibas) التي لم تستنر مطلقاً بضياء التمدّن الاب ماك كورت

MÉLANGES DE LA FACULTÉ ORIENTALE, vol. VI, 1913, pp. XVI-528, VIII Planches, fig. Prix 22 fr.

مجموعة المكتب الشرقي لسنتها السادسة

قد نالت هذه المجموعة في عالم العلم أطيب سمعة لما تحتويه من المقالات

التاريخيَّة والاثريَّة واللغويَّة التي وضعها اساتذة مكتبنا الشرقيّ . وهذا الجزء السادس كأسلافهِ في فوائدهِ ونفاسة مضامينهِ . وقد سبق لنا وصف مقالتين طُبعتا منهُ على حدة (راجع المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٧١٠—٧١١) وممَّا يستحقُّ الذكر مقالة لغوية للاب بولس جوون في المفردات العربيَّة والعبرانيَّة وانتقاد بعض النصوص الكتابيَّة ثمَّ مقالة للاب دي جرفانيون في كتابات بوزنطية وجدها في انحاء اوزگوب من بلاد قبادوقية ثمَّ ميمر قبطي منسوب الى القديس كيرلس الاسكندري نشرهُ لاوَّل مرَّة ونقلهُ الى الافرنسية الاب ماريوس شان ولاسيما تاريخ خلافة يزيد بن معاوية للاب هنري لامنس وبهِ انجز ما كتبهُ سابقاً عن هذا الخليفة الاموي فبلغ مجموع كتابهِ ٥٠٠ صفحة . وناهيك بهِ دليلاً على تنقيب مؤلفهِ وكشف النقاب عن ذاك الخائنة الذي تعصَّب عليهِ الكثيرون لعداوتهِ للامويين ولحرِّيَّة ضميرهِ ل . ش

Martin Hartmann : REISEBRIEFE AUS SYRIEN, *Berlin, Dieterich Reimer*, 1913, pp XXX-123

رسالات للاستاذ مرتين هرتمان المتجوّل في سوريَّة

انَّ كتابات الاستاذ مرتين هرتمان تبلغ العشرات وكادت تشمل كلَّ المواضيع الشرقيَّة من لغة وادب وتاريخ ولاسيما التاريخ العصريّ وقلَّما تجد بين المستشرقين من عرف الشرق مثلهُ ولا غرو فانَّهُ قد سكن زمناً طويلاً بيروت ولم يزل منذ تعيينهِ كقناصل مكتب اللغات الشرقيَّة في برلين يتتبَّع كل حركات الشرق والشرقيين . وممَّا انجزهُ مؤخَّراً كتابهُ المعنون برسائل التطواف في سوريَّة كتبها مدَّة سياحتهِ الاخيرة التي قام بها في العام المنصرم من آذار الى تشرين فكان يخطُّها في كل بلد يحلُّهُ فيصفهُ وصفاً واسعاً من حيث آثار تاريخهِ وآداب اهلهِ ومعاهدهِ وتجارتهِ فيجعلهُ كدليل يُستدلُّ بهِ على خواصّ معظم مدن الشام . وكنَّا وددنا ان يكون ثناؤنا لجناب المؤلف خالصاً لا يشوبُهُ الانتقاد على خلل فيهِ لكنَّنا لا نستطيع ألَّا ان نؤاخذ جنابهُ على تعصُّبهِ الزائد لبلادهِ وعلى تحاملهِ على الكاثوليك ولا سيما الرهبان الفرنسويين . وايم الله انَّنا نحترم شواعر الوطنية والحنين لاوطانهم ولكن ألَّا يستطاع حبُّ الوطن دون التنديد بمواطن الغير كما يفعل المسيو هرتمان بغرتهِ وذويها . واقبح من ذلك تعصُّبهُ لمذهبهِ البروتستانيّ ورشقهُ الرهبانيات الكاثوليكية

بالقذف والاستهزاء وكثيراً ما اعتاد ذلك في كتاباته السابقة دون داعٍ. وكتابهُ هذا الجديد لا يخلو من مثل تلك التقريعات (ص ٣١) حيث اورد كلاماً في حقّ رهبانيّتنا ليس فيهِ كلمة صادقة. ولا يصعب علينا ان نفنّدهُ لكنّنا نفضّل ان نذكّر المسيو هرتمان باعتذارهِ لدينا غير مرّة عمّا كتبهُ عنّا بقلّة تروّ فنتعجّب كيف يعود الى مثل هذه السفاسف التي تزري بشأنه فانّ مواطنيهِ الالمان مثل جناب الاباء ادورد ساخو (Sachau) وكمپفماير (Kampffmeyer) وبيكر (Becker) وبركلمان (Brockelmann) والمتنصل السابق شرودر (Dr Schroeder) وموريتس (Moritz) والمرحوم ڤولرس (Vollers) انصف منهُ في حقّنا وكثيراً ما اثنوا على مساعي رهبانيّتنا فما احرى بالمسيو هرتمان ان لم يقتدِ بهم على الاقلّ ان يكفّ عن طعنهِ

ل. ش

E. J. W. GIBB MEMORIAL SERIES, VI, 6, DICTIONARY OF LEARNED MEN OF YAKUT, edited by D. S Margoliouth. D. L. vol. VI, 1914, pp. 531

ارشاد الاديب المعروف بمعجم الاباء لياقوت الرومي (الجزء السادس)

في هذا الجزء تتمّة ما وُجد من هذا السفر المتسع الذي جمع فيهِ مؤلفهُ الشهير مئين من تراجم ادباء العرب كما ظهر لقرّائنا من اوصافنا للاجزاء السابقة. وفي هذا الجزء تراجم الاعلام الذين يبتدئ اسمهم باحد الحروف ع غ ف الى قسم كبير من الميم. وهناك تراجم مطوّلة لبعض الائمّة واساطين الآداب كترجمة محمّد بن جرير الطبري (٤٢٣—٤٦٨) وترجمة ابي الريحان البيروني (٣٠٨—٣١٤) وترجمة الامام الشافعي (٣٦٧—٣٩٨) وترجمة الجاحظ (٥٦—٨٠) وسيبويه (٨٠—٨٨) والحريري (١٦٧—١٨٤) والقاسم الخوارزميّ (١٥٤—١٦٢) وابي عبيد (١٦٢—١٦٦) ومحمد الابيوردي الشاعر (٣٤١—٣٥٧) وابن دريد (٤٨٣—٤٩٤) وغيرهم. فنشكر لجناب الاستاذ مرجليوث الذي نشر هذا الاثر الفريد ودقّق في تصحيحهِ طاقتهُ فان وقع فيهِ شيء من الاغلاط كان عذرهُ انّ الكتاب فذّ لا تُعرف لهُ نسخة ثانية. ويا ليت احد ادباء الشرق يستخرج من زوايا بعض المكاتب ما بقي مفقوداً منهُ فيستحقّ شكر كلّ ارباب الادب. وقد افادتنا جمعيّة «جيب»

ان للكتاب ملحقاً تودع فيه الفهارس وترجمة ياقوت الرومي وملحوظات عمومية على سائر الاجزاء. جازى الله خيراً كلّ انصار العلوم ل. ش

ترجمة بطريرك انطاكية اسطفانوس بطرس الدويهي

لسيادة المطران بطرس شبلي رئيس اساقفة بيروت الماروني

طُبع في مطبعة النهضة ل. دربان بيروت سنة ١٩١٣ (ص ٣٥٥)

يكلّ اللسان عن شكر السيد الفضال الذي احيا اخيراً ذكر ذلك الرجل العظيم البطريرك اسطفانوس الدويهي فخر ملّته ومجد شرقنا المسيحي في القرن السابع عشر. لعمري اننا كنّا نأسف أن يبقى مثل هذا النور تحت المكيال ونتمنّى من صميم القلب ان يقوم احد ابناء طائفته فينشر على رؤوس الملا فضله وفضائله. فها قد تمّت رغبتنا فوق ما كنّا مؤمّلين. فان سيادة المطران بطرس شبلي مع ما يتجاذبه من شواغل الفكر في تدبير ابرشيّته الواسعة احبّ ان يسعى بهذا العمل المبرور حتى انجزه على غاية الاتقان. فمن يتصفّح الكتاب يأخذه العجب مما اودعه مؤلفه الفضال من المعلومات التي جمع شتاتها بتعب عظيم من الخزانة البطريركية والمحاء قيس وجهات لبنان وكتب الفرنج ومخطوطات المعاصرين. وليس في الكتاب بهرجة كلام فارغ بل هو كلّه مؤيّد بالشواهد الصادقة والادلّة الثابتة بعبارة متينة وقلم سيّال ولا يخاف سيادته من ايضاح الحقيقة كلّها بغزارة ولو جُرح بها بعض المعاصرين للدويهي كذكره مثلاً مؤامرة بعض الاساقفة عليه (ص ٦٥) وما جرى له من الخلاف من قبل بعض رهبان الفرنج (ص ١٣٣—١٤٢) وكذلك روى المشاجرات التي حصلت بين مشايخ الرهبانيّة المارونيّة (١٨٩—١٩٣) الى غير ذلك مما يثبت انّ سيادة الكاتب مؤرخ ثقة في كل ما كتبهُ. فلا يسعنا الّا الثناء الجميل على هذا الاثر النفيس مع عقد الرجاء برواجه ليعرف الشرقيّون كافّة احد اركان وطنهم العزيز ل. ش

تاريخ الحرب البلقانيّة المصوّر

بقلم سليم العنّاد. الجزء الثاني يشتمل على خريطتين و١٤ رسماً

طُبع في مطبعة الهلال بمصر سنة ١٩١٣ (ص ١٢٦)

لم يدعنا مؤلف هذا التاريخ ان ننتظر طويلاً مواصلة عمله (راجع المشرق ١٦

[١٩١٣]: ٦٣٤) فانهُ بعد أن شرح في الجزء الاوَّل مقدِّمات الحرب ثمَّ وقائع الجيوش البلغاريَّة الاربعة بيَّن في هذا الجزء الثاني وقائع الدول البلقانيَّة الثلث اي الجبل الاسود والصرب واليونان وما وليها من الامور في شطلجه حتى عقد الهدنة في ٣ كا (١٩١٣) والمؤلف لا يتحرَّى الَّا الصدق في كلامهِ ليعطي كلَّ ذي حقّ حقَّهُ . ومما يزين كتابهُ الخرائط الحربيَّة ورسوم جميلة لاركان الحرب فلم يبقَ عليهِ الَّا ان يتحفنا بتتمَّة اخبار هذه الحرب المشؤومة وما جرى للحلفاء من المنازعات التي جرَّت الويلات على البلغار . وهذا الكتاب يطلب في الشرق من ابراهيم افندي خوري قطيط في بناية خليل افندي البدوي على المرفأ ل ش

ديوان الطباطبائي

نشرهُ باذن ولديهِ الشيخ علي الشرقي

طُبع في مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٣٣٢ (ص ٢٨٧)

توفي مصنف هذا الديوان قبل ١٣ سنة . ولما كان احد شعراء العراق المجيدين احبَّ مواطنوهُ بعد استرخاص ولديهِ السيدين حسن ومحمَّد ان يطبعوا مجموع شعرهِ على نفقة شركة منهم فطبع طبعاً حسناً وقف عليهِ الشيخ علي الشرقي وصدَّرهُ بترجمة مؤلفهِ وذيَّلهُ ببعض شروح لغويَّة . اما مواضيع القصائد فاكثرها في الغزليات وبعضها في التهاني والمدح والرثاء . وليس بينها من المواضيع العصريَّة الَّا القليل كوصفهِ لجَّة الحديد وحركاتها بين الكاظم وبغداد (ص ٧١) ل ش

جواهر الادب من خزائن العرب

الجزء الخامس . جُمع بعناية سليم افندي ابراهيم صادر

طُبع بالمطبعة الخيريَّة في بيروت ١٩١٣ (ص ٤١٦)

سبق لنا وصف هذا المجموع الادبيّ الذي وضعهُ صاحبهُ الاديب على مثال مجاني الادب فجعلهُ ابواباً على مختلف المواضيع . ومما تفرَّد بهِ عدَّة فصول نثريَّة وشعريَّة لكتبة محدثين كسليمان افندي البستاني والمرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي واديب اسحاق ومعروف افندي الرصافي واكثرهُ مضبوط بالشكل . ولمَّا كان قصدُ جامعهِ ان يكون الكتاب مدارسيًّا لفائدة احداث المكاتب كان الاولى ان تحذف منهُ بعض الموشَّحات الغزليَّة التي لا يحسن بالتلامذة حفظها او درسها ل ش

نوادر وفكاهات من احاديث الحيوانات

لمؤلفها الياس بك قبسي قنصل دولة البورتغال في دمشق

طبع في دمشق الشام سنة ١٩١٣ (ص ١٢٥)

انَّ في امثال لافونطين من الدقائق اللطيفة والنكت الفكاهيَّة الظريفة المستمدَّة لاحوال الطبيعة واخلاق الحيوان ما يسبي قلوب المتأملين فيها. وقد سعى كثيرون من الشرقيين ان يعرّبوها دون ان يضيعوا شيئاً من رشاقتها ورقَّة معانيها الاصليَّة فاصابوا احياناً وشطُّوا غالباً وقد رأى سعادة قيس قنصل البرتغال في دمشق ان اللغة العامية الجارية في دمشق تنيلهُ هذه الغاية لطبيعيَّتها ودقَّة تعابيرها وابتكاراتها فنقل بعض امثال لافونطين على هذا الاسلوب فاجاد . وجنابهُ لم يستعر من الاصل غير طريقته دون النقل الحرفي متصرّفاً فيها على ما يوافق الوزن القرّادي المعروف بالمعنَّى وقد اضاف اليها امثالاً اخرى لم يقتبسها من غيره ونظمها بجودة قريحته . فلا نشكّ ان محبي اللهجات العامّيَّة يعمدون الى درس هذا الكتاب لمعرفة خواصّ اللغة الدمشقيَّة الدارجة ويا ليت صاحبهُ الاديب زاد في ذيله شيئاً من الملحوظات كشفاً لبعض ميزات تلك اللغة . وان شاء الله يفعل في طبعة ثانية ويتقن ايضاً طبع الكتاب لأن هذه الطبعة الاولى سقيمة

ل . ش

شذرات

وقاحة الكذبة ردّدنا في احد اعداد المشرق (١٣ [١٩١٠]: ١٤٤–١٤٩) على كذب ذاك المتفلسف الذي اخذ فلسفتهُ عن اساتذة « الفريكة » امين الريحاني لما رواهُ في مجلَّة الحسناء عن هباسيا اليونانيَّة وموتها فزوَّر الخبر ونفث فيهِ سمَّهُ الكفري سمَّ ڤولتير صديقهِ فنسب قتلها الى احد اكابر ملافنة شرقنا العزيز القديس كيرلّس الاسكندري . فظننا بعد ردّنا المزيد بكل الشواهد العلميَّة ان لا احد يجسر على افك مثلهِ . وقد وقفنا على احد اعداد مجلَّة الفنون في نيويورك وهو السابع من سنتها الأولى واذا هناك قصَّة هباسيا المدعوَّة هذه المرَّة « غباتيا » رواها احد اصحاب الريحاني ورفقته في انشاء تلك المجلَّة وهو المدعو مخائيل نعيمه تحت عنوان « لمجد المصلوب » والبسها ثوباً جديداً من الشتائم في حقّ الدين ونعت هناك القديس

نوادر وفكاهات من احاديث الحيوانات

لمؤلفها الياس بك قبسي قنصل دولة البورتغال في دمشق

طبع في دمشق الشام سنة ١٩١٣ (ص ١٢٥)

انَّ في امثال لافونطين من الدقائق اللطيفة والنكت الفكاهيَّة الظريفة المستمدَّة لاحوال الطبيعة واخلاق الحيوان ما يسبي قلوب المتأملين فيها. وقد سعى كثيرون من الشرقيين ان يعرّبوها دون ان يضيعوا شيئاً من رشاقتها ورقَّة معانيها الاصليَّة فاصابوا احياناً وشطُّوا غالباً وقد رأى سعادة قيس قنصل البرتغال في دمشق ان اللغة العامية الجارية في دمشق تنيلهُ هذه الغاية لطبيعيَّتها ودقَّة تعابيرها وابتكاراتها فنقل بعض امثال لافونطين على هذا الاسلوب فاجاد . وجنابهُ لم يستعر من الاصل غير طريقته دون النقل الحرفي متصرّفاً فيها على ما يوافق الوزن القرّادي المعروف بالمعنَّى وقد اضاف اليها امثالاً اخرى لم يقتبسها من غيره ونظمها بجودة قريحته . فلا نشكّ ان محبي اللهجات العامّيَّة يعمدون الى درس هذا الكتاب لمعرفة خواصّ اللغة الدمشقيَّة الدارجة ويا ليت صاحبهُ الاديب زاد في ذيله شيئاً من الملحوظات كشفاً لبعض ميزات تلك اللغة . وان شاء الله يفعل في طبعة ثانية ويتقن ايضاً طبع الكتاب لأن هذه الطبعة الاولى سقيمة

ل . ش

شذرات

وقاحة الكذبة ردّدنا في احد اعداد المشرق (١٣ [١٩١٠]: ١٤٤–١٤٩) على كذب ذاك المتفلسف الذي اخذ فلسفتهُ عن اساتذة « الفريكة » امين الريحاني لما رواهُ في مجلَّة الحسناء عن هباسيا اليونانيَّة وموتها فزوَّر الخبر ونفث فيهِ سمَّهُ الكفري سمَّ ڤولتير صديقهِ فنسب قتلها الى احد اكابر ملافنة شرقنا العزيز القديس كيرلّس الاسكندري . فظننا بعد ردّنا المزيد بكل الشواهد العلميَّة ان لا احد يجسر على افك مثلهِ . وقد وقفنا على احد اعداد مجلَّة الفنون في نيويورك وهو السابع من سنتها الأولى واذا هناك قصَّة هباسيا المدعوَّة هذه المرَّة « غباتيا » رواها احد اصحاب الريحاني ورفقته في انشاء تلك المجلَّة وهو المدعو مخائيل نعيمه تحت عنوان « لمجد المصلوب » والبسها ثوباً جديداً من الشتائم في حقّ الدين ونعت هناك القديس

كيرأوس » بالرجل العاتي المتعصب الدَّعي المتفلسف » وما شاكل ذلك من الالقاب والاوصاف القبيحة التي تدلّ فقط على حقة كاتبها. وهي لا تمسُّ شرف ذاك الرجل الذي يُعدّ بين نوابغ عصره. وانّا يسوءنا ان شرقيًّا لم يخجل ان يلقي بتفلته على شمس المعارف واحد اقطاب الدين لكنّ تفاتهُ لم تلطّخ غير شخصه ولم يضرّ الشمسَ نباحُ النابح عليها

صفحة من تاريخ التنير المدعو نصارى تركيًّا أتريد ايُّها القارئ الكريم ان تعلم كيف يكتب تنير افندي تاريخ المسألة اللبنانيَّة سنة ١٨٦٠ فاسمع فقرةً منهُ نشرها صاحبهُ في العدد ٥١ من مجلّته المصوَّر قال ما حرفهُ:

وزاد في ذلك الوقت تغرة فصل فرنسا في بيروت ولبنان ودمشق وبذلك زاد تعدي النصارى وخصوصًا المواربة على الدروز والمسلمين وكانوا اذا رأوا شيخًا استهزأوا به حتى انهم كانوا في بعض الاحيان يرمون الاحجار عليه (!!!) ولم يمضِ يوم دون ان يسمع بقتل احد من المسلمين او الدروز والحكومة كانت تعامل النصارى باللين وتتغاضى عن كلّ هذه الحوادث خشية لإشعال تعصّب النصارى فتتداخل فرنسا التي كانت تدبّر هذه الحركات لايجاد فرصة للمداخلة (كذا)... وفي ٩ أيار سنة ١٨٦٠ قتل رهبان دير السيق (كذا) قرب الدير الفرنسي رئيس الدير وهو في فراشهِ واذاعوا انّ الدروز قتلتهُ واخذ النصارى يتعدّون على كلّ من صادفوهُ من الدروز وقام نصارى زحلة وعددهم ٣٠٠٠ بالسلاح الكامل ودهموا دروز عين دارة... الخ الخ

فانظر رعاك الله صدق هذا الكاتب الذي جعل الظلام نورًا والنور ظلامًا فكذّب الالوف من المؤرخين الذين سبقوهُ واوشك بلادًا يكتب فيها مثل هؤلاء المتعصّبين دون رادع يردعهم لا غرض لهم الّا تشويه وجه الحقائق النيّرة

العالم الكاثوليكي في لورد انّ مزار لورد في فرنسة قد اضحى اليوم احد مراكز الكثلكة الهامّة. وهاك جدولًا يوقفك على الحركة الدينيَّة هناك. في العام المنصرم نقل البخار الى لورد ٤٩٤ قطارًا تقلّ الزوّار بينها ٣٤٣ قطارًا للفرنسويين ثمّ ٤٠ ق للبلجيكيين ثم ٢٦ ق للاسبانيين ثم ٢٢ للالمان ما عدا سبعة قطارات لمقاطعتي الزاس ولوران ثمّ ٢٠ ق للايطاليين ثم ١٥ للسويسريين ثمّ ١٠ للنمسويين والبقيَّة للانكليز وللبرتغاليين ولاهل لوكسمبرج. وكانت الزيارة الفرنسويَّة السنويَّة الرسميَّة في ايلول غايةً في الفخامة فدخل يومئذ في لورد ٣٤ قطارًا تنقل ١٥,٠٠٠ زائر والفًا من المرضى شفي منهم العدد العديد بشفاعة السيّدة وكان يرأس هذه الحفلات ١٣ اسقفًا فكان لهذه الزيارة تأثير عظيم اشترك بها عموم الفرنسويين

في كل انحاء وطنهم — ومن الزيارات الشائقة زيارة الارلنديين بعدد ٤٠٠٠ زائر تحت قيادة رئيس اساقفة ارلندة وخمسة اساقفة و ٣٠٠ كاهن. ومنها ايضاً زيارة الف عامل من عمّال السكك الحديديّة الفرنسويّة (les cheminots). اما عدد الزوّار فقد تجاوز في العام الماضي مليوناً من المسيحيين قدموا من اربعة اقطار الدنيا كان بينهم اربعة كرادلة و ١٢٦ مطراناً او اسقفاً و ٧٨ من ذوي الرتب الكنسيّة. وقد بلغ عدد القداديس المقدّمة في كنيسة لورد العجائبيّة ٧٨,٧٠٠ هذا فضلاً عمّا أُقيم منها في بقيّة كنائس البلدة. اما عدد المرضى الذين نُقلوا الى لورد طلباً للشفاء ودخلوا في مستشفياتها فكان ٩,٩٤٦ اهتمّ بخدمتهم ونقلهم الى حوض المياه العجائبيّة اكثر من ألف ممرّض او ممرّضة في جملتهم نحو ٥٠٠ من وجوه السادة والسيدات المتطوّعين خدمتهم في سبيل الله. وقد أُرسل من مياه لورد الى جهات العالم ١٦٠,٠٠٠ قنينة مختومة. فترى انّ مريم العذراء تجذب العالم كلّهُ الى مزارها وتُنعش في القلوب روح الدين والتقوى بما تجترحهُ من المعجزات التي يقرّ بصحّتها كل من لا تعميه الاوهام الباطلة ولا يكابر الحقّ الواضح. وممّا يستحقّ الذكر انّ الاطبّاء الذين كانوا في اوّل الامر لا يبالون بما يحدث في لورد من العجائب لا يزالون كل سنة يتقاطرون اليها ليفحصوا ما يجري هناك من الاشفية العجيبة وكلهم يجلسون في جملة الاطبّاء الذين ينظرون رسميًّا المرضى من الزوّار وقد بلغ عددهم في السنة الماضية ٦٧٠ طبيباً منهم ٧١ استاذًا للطب او متولّياً نظارة المستشفيات وكان هؤلاء الاطبّاء من كل البلاد بينهم ٤٣٠ طبيباً افرنسيًّا و ٢٤٠ اجنبيًّا اي ٩٢ بلجيكيًّا و ٣٤ ايطاليًّا و ٢٢ اسبانيًّا و ٢٠ اميركيًّا و ١٦ ارلنديًّا و ١٤ المانيًّا و ١١ انكليزيًّا والباقون من بلاد اخرى كسويسرة وهولندة وسكوتيا والبرازيل وكندا وروسيّة ومصر. فكفى بهذا دليلًا على ما نالتهُ لورد من السمعة في انحاء العمور. ولعمري انهُ لمن العجب العجاب ان يقوم العلم رسميًّا ويستعرض عجائب الله مقرًّا بصحّتها وصحّة الدين الذي تجري فيه. ولم نسمع بمثل هذا في اي دين كان غير الدين الكاثوليكي

اكتشافات تركستان ذكرنا سابقاً ما وجد السيّاح الاوربيّون في تركستان الصينيّة ولا سيما في طرفان من العاديّات الكتابيّة الراقية الى القرن الثامن للمسيح فما قبلهُ الى الخامس وذلك في لغات مختلفة. وقسم كبير من هذه الآثار لا

يزال العلماء يكتشفون في بيان مضامينه . ومما وجدوه بينها مقاطيع مهمة من مزامير داود في اللغة البهلوية كُتبت على عهد بني ساسان — ومنها فصول من اسفار العهد الجديد كالانجيل ورسائل بولس الرسول — واكتشفوا كذلك في اللغة الكلدانية مآثر شتى اخصُّها رُتب وطقوس وصلوات كانت الكنيسة الكلدانية تقيمها في ايام الاعياد ولا تزال حتى يومنا في كتب فرائضها الدينية — ومنها ترجمة رسالة هرماس التي عنوانها « الراعي » الراقية الى القرن الثاني للمسيح نقلها بعض اتباع مانى — ومنها باللغة التركيَّة القديمة المعروفة بالايغوريَّة (راجع المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٧٧٠) شذرات ادبيَّة نصرانيَّة وفرائض دينيَّة واقاصيص مسيحيَّة . وكلُّها تؤيد ما قلناهُ عن نفوذ الدين المسيحي في تلك البلاد القاصية

أسئلة واجوبة

س سأل مستفيد لاي سبب يُدعى الفرمسون بابناء الارملة

ابناء الارملة

ج اجبنا على ذلك في الكرّاس الاوّل من كتاب السرّ المصون في شيعة الفرمسون (ص ٩) حيث ذكرنا انتساب ابناء العشيرة الماسونية الى مانى القائل بمبدأ الثنويَّة اي إلهي الخير والشرّ ولما كان المذكور منتسباً الى ارملة في المدائن ورثت منهُ بعد وفاتهِ كتب بدعتهِ فنشرتها تسمّى الماسون بابناء الارملة

س وسأل احد كهنة لبنان أيجوز فتح مكاتيب الغير دون اذنهم

فتح المكاتيب

ج لا يجوز فتح مكاتيب الغير الّا في ظروف معلومة كالقانون الرهباني مثلاً الذي يرضى بهِ الداخلون في الرهبانيَّة ويجيز للرؤساء فتح مكاتيب مرؤوسيهم . ومثلها قوانين المدارس وما شاكلها . ويجوز الامر اذا خيف من مؤامرة على الدولة او لبعض دواعي خطيرة تمسُّ صالح العموم . واذا اتفق انَّ احداً اطَّلع على مكاتيب الغير امَّا سهواً واما تعمُّداً فيلزمهُ السرّ الطبيعي بكتم محتوياتها تحت طائلة الخطإ

ل . ش